THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



التَّصَوُّف

مُجاهَدة المسْلِم نَفَسَه

عثمان نوري طوباش



دار الأرقم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



اسطنبول ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إسطنبول: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

إسم الكتاب باللغة التركية: Müslümanın Kendisi ile İmtihanında Tasavvuf

الترجمة للعربية: محمد عز الدين سيف.

مراجعة وتصحيح وتدقيق: اياد عمار/ أحمد حمدي.

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN:٩٧٨٩٩٤٤٨٣٧٧٥٠

Language : Arabic

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

العنوان:



▸ Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY

Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)

Fax : +90 212 671 07 48

E-mail : info@islamicpublishing.net

Web site : www.islamicpublishing.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التَّصَوُّف

مُجاهَدة المُسْلِمِ نَفسَه

عثمان نوري طوبّاش



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه...

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم وجعله في «أحسن تقويم»، وفضَّله على مخلوقاته كلها...

والشكر له سبحانه الذي نفخ في الإنسان من روحه، فأكرمه ببلوغ المراتب العلية، والذي هداه إلى الحق والخير بالرسل والكتب السماوية...

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا خير البشر، خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين، محمد المصطفى الأمين؛ هادينا ومرشدنا وأسوتنا الحسنة، وشفيعنا يوم العرض الأكبر، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبعد، فإن ديننا الإسلامي العظيم عقيدة وشريعة، يرمق الآخرة بعين، ويرقب الحياة الدنيا بأخرى، فهو دينٌ ينظِّم حياتنا الدنيوية الظاهرة بالشرائع والقوانين، ويُطمئِن قلوبنا وأوراحنا بالإيمان.

والإسلام يستحث المرء المسلم ليرتقي «**درجات الكمال**»، فكان من الضروري لنفهم هذا الدين العظيم فهمًا تامًا، أن نعيَ تكامل جانبه الظاهري مع الباطني، وجانبه المادي مع المعنوي.

والتصوف طريقة من طرق التربية الربَّانية تسعى بالمؤمن ليدرك هذا التكامل، ووسيلة ترتقي به إلى الكمال بتطهير قلبه من الغلظة، وتقويم حياته في ظلال القرآن والسنة.

أي إن **التصوف** مؤسسة معنوية تُنشئ ذلكم «**المسلم الكامل**» و«**المؤمن التقي**».

والتصوف يسعى ليحلِّق بالعلم في فضاءات العرفان، وينتقل بالإنسان من التقليد إلى التحقيق، ومن الإيمان إلى الإحسان، وذلك بمعرفة المولى ﷻ بـ «**نفس مطمئنة**» و«**قلب سليم**».



This file was downloaded from QuranicThought.com

والتصوف يصون المرء مما سوى الله تعالى، فيحفظه من مغريات النفس وغوائلها بدرع التقوى، ويطهر القلب ليجعله دائمًا «**مع الله**»، فهو سبحانه وتعالى القائل في كتابه العزيز:

﴿...**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**...﴾ [الحديد: ٤]

والتصوف سعي دائب لضبط أفعال المسلم وأحاسيسه وأفكاره بل حتى أنفاسه على إيقاع مرضاة الله تعالى، كي يحيا بالإيمان إلى أن يلفظ نفسه الأخير وترتقي الروح إلى بارئها.

والتصوف مدرسة العرفان، ومعلموها ورثة الأنبياء من الأولياء وكمل المرشدين، الذين يتمثلون أخلاق النبي ﷺ في نفسه ودعوته كل حين.

وأعظم مهمة لهؤلاء المرشدين إنما هي تعريف المرء نفسَه، وتدريبه على محاسبتها ومراقبتها؛ فبهذا يسيطر الإنسان في دار الامتحان على ميوله النفسانية التي تشده إلى الشرور، ويتجه نحو الحق والخير دائمًا، فيدرك في نهاية الأمر عجزه وفناءه وقصوره أمام قدرة ربه عَزَّ وَجَلَّ وعظمته فلا يتجاوز حدوده.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولهذا قيل: «من عرف نفسه فقد عرف ربَّه».

وللوصول إلى هذه المعرفة لا بد من خوض غمار جهاد لا هوادة فيه سعيًا للقضاء على الأهواء النفسانية والترقي بالتطلعات الروحانية، حتى يخرج النَفَس الأخير والله عنا راض.

وعلى العبد أن يربي نفسه التي بين جنبَيه، تلك النفس المليئة بالأسرار، بإخضاعها لمجموعة من الضوابط التي يضعها المرشدون المؤهلون لهذا الأمر، فيجعلها واسطة للترقي والمضي في سبيل الحق تعالى، وعليه أن يزيِّن قلبه بالحكم الإلهية بالتفكر في آثار قدرة الله وتجليات عظمته.

ويقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني:

«تصالَحْ مع الناس كلهم، وحارِب النفسَ وحدها»، فيبيِّن لنا خير الطرق للتقرب من الله تعالى والعيش بسلام مع خلقه.

وعليه فإن التصوف يأبى الأنانية والفردية والنفسانية، ويعلِّم المرء الإيثارَ والتضحية والغيرة على الدينوالخدمة لعباد الله أجمعين.



This file was downloaded from QuranicThought.com

أي إن **التصوف** يسعى أثناء **مجاهَدة المسلم نفسَه** لإزالة الميول النفسانية، ولجعل القلب مكانًا تتنزل فيه الرحمات فتنعكس على المخلوقات طمأنينة وأمانًا، ويغدو الإنسان إنسانًا نافعًا بحاله ومقاله، أي يغدو «**مؤمنًا كاملا**».

والأعظم من ذلك كله أن **التصوف** عزمٌ على العيش كما عاش النبي الكريم؛ أي حياة قائمة على الاعتدال والتوازن والاستقامة، فهو الأسوة الحسنة للبشر جميعًا وهاديهم إلى الصراط المستقيم، وقد نقل الصحابة الكرام أحوال رسول الله ﷺ وسلوكه ومعاملاته فوصلت إلينا في أيامنا هذه، فللمسلم في حياته ضوابط يأخذها من مصدرَين أساسيَّين: كتاب الله تعالى الذي حفظه من كل تحريف، وسنة النبي ﷺ بما فيها من أخلاق ومعاملات وسلوك، يقول المولى جَلَّ جَلَالُهُ في الآية الكريمة:

﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ...**﴾ [النساء: ٨٠]

فالتصوف سعي لتمثل حياة النبي الكريم ﷺ ظاهرًا وباطنًا- على حسب استعداد كل فرد- واستذكاره في الأفكار والأحاسيس والأحوال والأفعال في كل صفحة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من صفحات الحياة، انطلاقًا من الحديث الشريف الذي يقول فيه نبينا العظيم ﷺ:

«المرء مع من أحب»[1]

ومن مظاهر محبة الأمة الإسلامية لنبيها الكريم تسمية أولادها باسم «محمد»، الاسم الأكثر شيوعًا بين أبنائها.

والتصوف- الذي يعد جوهر الإسلام- مدرسةٌ تربويةٌ تسعى ليتحلَّى الناس بخصال النبي الكريم ﷺ وصفاته السامية، ويتخلَّقوا بأخلاقه المباركة، ويتبعوا أوامره ونواهيه.

ونخلص- مما سبق- إلى أن التصوف سعي لفهم القرآن والسنة بالعقل والقلب والعيش في محبة وطمأنينة.

وكما هو الحال في كل جوانب حياتنا المعاصرة، فقد وصل التلاعب والإفساد إلى كل شيء حتى التصوف، فلم يكن في أيامنا هذه بمنأى عن ذلك التحريف.

فمنهم المتشدد الذي رفض التصوف الإسلامي رفضًا تامًّا، ومنهم الجاهل المتعصب الذي لم يخلُ منهجه من أخطاء تحت اسم التصوف، فوقع التصوف

١. البخاري، الأدب، ٩٦/ ٦١٦٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

ضحية الإفراط والتفريط، وظهرت البِدع التي ليس لها أصل في الشريعة، وكثُرَ اللغط في هذا الأمر.

ومنهم من تخفى تحت ستار التصوف بحثًا عن النجاة في الآخرة فسعى وراء سراب وخيالات دون أن يجتهد في عمل الصالحات، أو يكون له نصيب في المجاهَدات، أو يقي نفسه من المحرمات، أو يتحمل المصائب والمشقات المتعاقبات...

ومنهم من وقع فريسة مكائد النفسانيات، فادَّعى محبة الصالحين والصادقين دون التأسي بهم والتخلق بأخلاقهم، بل اكتفى بقوله: «ذاك الصالح سيأخذ بيدي، وينجيني»، أو غلا في محبة مَن ينتسب إليه فأوصله ذلك إلى تقديسه، ومنهم من نسي أن العصمة قاصرة على الأنبياء وحدهم، فاتَّبع أقوال مشايخه دون قياسها بميزان القرآن والسنة، فعميت بصيرته وصار حجة يستغلها أعداء التصوف عليه.

ومنهم من استسهل الأمر فرأى في العفو والمسامحة في أسلوب التصوف ملجأً ومناصًا له دون أن يراعي قوله تعالى:

﴿...وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومنهم من رأى التصوف بعين عوراء، فصار يبحث عن الروحانيات في صور ورسومات، ومنهم من أخذ بالرؤى والإلهامات حتى لو كانت مخالفة لما جاء في الشرع من أوامر ومنهيات.

ومنهم من صار يركض وراء الكشف والكرامات والإلهامات والتجليات ناسيًا الهدف الأساسي، والأمثلة على هؤلاء كثيرة.

وعلى الجانب الآخر نجد جماعة المكفِّرين الذين يرفضون التصوف رفضًا تامًّا لسوء فهمهم له، ويعدون الرابطة والتوسل وزيارة القبور ضربًا من الشرك والوثنية.

وبناء على ما ذكرنا فإن الاعتراضات الموجهة للتصوف تقوم على سببين اثنين:

الأول: الجهل بحقيقة التصوف.

والثاني: التركيز على ممارسات بعض الجهلاء الذين هم ليسوا أهلًا للتصوف، وإلحاق هذه الممارسات بأرباب التصوف كلهم.

وصفوة الكلام أن الأفكار والمفاهيم الباطلة في أيامنا هذه تعكِّر صفو الأذهان والقلوب، لذلك لا بد هنا



This file was downloaded from QuranicThought.com

من إعادة توضيح بعض المفاهيم الصوفية، والفصل بين الصواب منها والخطأ، وحينما ننظر إلى المشهد اليومي العام، نجد أن التركيز على معايير الاستقامة والوسطية والاعتدال في الدين وإيضاحها للناس بات من أهم المسؤوليات المهمة الملقاة على عاتقنا.

قرَّاءنا الأعزاء:

إن هذا الكتيِّب الذي نضعه بين أيديكم للإفادة منه إنما هو مجموعة المقالات التي نُشِرَت في مجلة (ألتون أولوق) تحت عنوان: «التصوف: الارتقاء إلى الكمال بالقرآن والسنة».

وسعينا في هذا الكتيِّب المتواضع أن نلفت الانتباه إلى الضوابط الشرعية لتوضيح لزوم التصوف الإسلامي في حياة المسلم، وعملنا على إيضاح حال القلب التي ينبغي على العبد أن يكون عليها في علاقته مع ربه جلَّ وعلا.

وبذلنا جهدًا في توضيح أصح الضوابط في علاقة كل من يسير في طريق التربية المعنوية مع مرشده وشيخه، فبيَّنَّا كيف تجر المحبة الزائدة والارتباط في

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذه العلاقات وأمثالها إلى التعصب والغلو، وكانت لنا تنبيهات في بعض من هذه الموضوعات الخطرة التي قد تزل فيها الأقدام فتخرج عن الصراط المستقيم.

وخلاصة الأمر أننا سعينا لتوضيح حقيقة أن الاعتدال في الدين لا يكون إلا بمراعاة ميزان الشرع الحنيف.

اللهم يسِّر لنا فهم ديننا العظيم فهمًا صحيحًا وأن نحياه كما ترضى، واجعل أفكارنا وأعمالنا وأحاسيسنا ونيَّاتنا محفوفة برضاك، واغفر لنا واعفو عنا وارحمنا يا أكرم الأكرمين.

آمين!..[٢]

عثمان نوري طوبَّاش

نيسان/ أبريل ٢٠١٥

أُسكُدار-اسطنبول

٢. أتوجه بالشكر للأستاذ محمد عاكف غوناي الذي بذل جهدًا في إعداء هذا الكتاب، وأدعو الله تعالى أن يكون عمله هذا صدقة جارية في ميزان حسناته.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التصوف:

بلوغ الكمال

بالقرآن الكريم والسنة الشريفة

التصوف: الارتقاء بـ «**الإيمان**» إلى مرتبة «**الإحسان**»، والإحسان إنما هو شعور القلب أنه دائمًا تحت نظر الله تعالى، الذي لا يخفى عليه أمر في الأرض ولا في السماء، فهو القائل في كتابه العزيز:

﴿...**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**...﴾ [الحديد: ٤]

﴿...**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ [ق: ٦١]



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

التصوف:
بلوغ الكمال
بالقرآن الكريم والسنة الشريفة

إن الإسلام يهدف لتربية «**إنسان كامل**»، وهذا الهدف يُوجِب على المرء أن يعيش الإسلامَ ظاهرًا وباطنًا، بصورة يتحد فيها الجسد مع الروح، وينسجم العقل مع القلب.

والتصوف الحقيقي إنما هو سعي لعدم الاكتفاء بتطبيق ظاهر الدين عن باطنه والاستغناء بقشوره عن لبه، وإنما أن نعيش ظاهر الدين وباطنه معًا، وهذا ما يُلزِمنا أن ندرك الإسلام في إطار تتكامل فيه «**الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة**».

ولعمرك إن المؤمن كلما ارتقى في طريقه من «**الإيمان إلى الإحسان**»، تعمَّق في تفكره، وأدرك الحياة على حقيقتها دون زينة أو زخارف.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولنضرب هنا مثلًا يقرِّب للأذهان الصورة التي نسعى لتوضيحها:

إذا قال أحدهم: «**مَالُك مَالُك، ومَالِي مَالِي**» فلا ضير في ذلك من منظور **الشريعة**، التي تطبَّق فيها أوامر الله ونواهيه على الناس كلهم؛ عوامهم وخواصهم.

وأما في **الطريقة**، التي هي طريق نحو النضج المعنوي يسلكه ذووا الاستعداد القلبي، فإن العبارة السابقة تغدو: «**مَالُك مَالُك، ومَالِي مَالُك في سبيل رضا الله تعالى**» فتكون شكلًا من أشكال التضحية والإيثار، ويشعر صاحبها بلذة الكرم والجود.

وأما من وصل إلى **الحقيقة** من عباد الله المصطفين الأخيار، فيكون قولهم: «**لا مَالُك مَالُك، ولا مَالِي مَالِي، بل كله لله تعالى**»، فيَصِلون بذلك إلى نضج قلبي يجعلهم يُضحُّون بأثمن ما عندهم في سبيل المولى عز وجل كي يتقرَّبوا به إليه، فهو القائل في كتابه :

﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...**﴾ [آل عمران: ٩٢]

وأما من بلغ **المعرفة** من أولياء الله العارفين فشعارهم الدائم: «**لا تشوب الولايةَ شائبة مُلك**».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾ [التوبة: ١١١]

إن ميزانَ الوِلاية التضحيةُ، فلا بد كي يرقى العبد درجات الولايةَ من أن يشعر بـ «**فنائه**» و«**عدمه**»، والمخلوقات كلها دون استثناء تحتاج إلى أمر المولى ﷻ لتكون، وتحتاج إلى إمداده لتبقى، فلا يكون شيء إلا بإرادته سبحانه وقدرته، فهو«واجب الوجود» الذي لا يحتاج إلى ما سواه.

والحادثة التالية خير مثال للحقائق التي ذكرناها:

«قال رجل للشبلي رحمه الله: كم في خمس من الإبل؟ قال: شاة في الواجب، فأمَّا عندنا، فكلُّها لله تعالى.

قال: فما أصلك في ذلك؟ قال: أبو بكر رضي الله تعالى عنه، حين خرج عن ماله كلِّه لله ورسوله.

ثم قال: من خرج عن ماله كله فإمامه أبو بكر، ومن خرج عن بعضه وترك بعضه فإمامه عمر، ومن أخذ لله، وأعطى لله، وجمع لله، ومنع لله، فإمامه عثمان، ومن

This file was downloaded from QuranicThought.com

ترك الدنيا لأهلها فإمامه علي، وكلُّ علمٍ لا يؤدي إلى ترك الدنيا فليس بعلم». [٣]

ولنضرب هنا مثالًا آخرَ لنبيِّن فيه معنى إدراك الإسلام في إطار تتكامل فيه «**الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة**»:

إن الإسراف في **الشريعة** الأكلُ بعد الشبع.

وفي **الطريقة** الأكلُ حتى الشبع.

وفي **الحقيقة** الأكلُ بقدر الكفاية وبغفلة عن ذكر الله تعالى.

وفي **المعرفة** فهو- إضافة لما سبق- ألا يتفكر العبد بتجليات أسمائه تعالى وقدرته في النِعم التي بين يديه؛ فكل مخلوق مهما صغر حجمه أو كبُر إنما هو دليل واضح على عظمة الخالق وقدرته المطلقة.

وقد كان الشيخ **شاه نقشبند**- وهو من أولياء الله العظام- يشارك طلابه في طبخ الطعام وإعداد الموائد في كثير من الأحيان، ويوصيهم لئلا يقعوا في الغفلة

٣. أحمد زرُّوق، قواعد التصوف، ص٤٩، قاعدة:٣٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

ولو هنيهةً، ولتبقى قلوبهم صاحية ذاكرةً ربَّها أثناء إعداد الطعام وأكله، وإذا ما رأى أحدَ مريديه قد أخذ لقمة بغفلة، أيقظه مباشرة بقولٍ ليِّن، فلم يكن رحمه الله ليرضى أن يأكل مريدُه ولو لقمة واحدة وهو بعيد عن ذكر ربه سبحانه وتعال.

والطعام في الظاهر ليس عبادة، غير أن كل لقمة يأكلها العبد ذاكرًا ربَّه تكون وسيلةً للخشوع والفيوضات أثناء العبادات، وأما اللقمة التي يأكلها بغفلة عن الله سبحانه فتجعل قلبه قاسيًا غافلًا لاهيًا.

ويوضِّح قول **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه الدرجةَ التي بلغها الصحابة في ظلال التربية المعنوية التي تلقُّوها عن رسول الله ﷺ:

«ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل».[٤]

فـ «**التصوف**» لا يُفهَم بمعناه الحقيقي إلا حينما تكون معاملات الناس وأحوالهم كلها- من العبادات إلى الحياة الأسرية، ومن العلاقات مع الجيران إلى النشاطات التجارية والاقتصادية- قائمة على دقائق

٤. البخاري، المناقب، ٢٥.



This file was downloaded from QuranicThought.com

الإسلام ولطائفه التي سعينا إلى توضيحها بالأمثلة السابقة، معالاعتقاد أنها نماذج يمكن تطبيقها.

فما هو التصوف؟

التصوف: معرفةالله تعالى بالقلب.

والتصوف: الارتقاء بــ«**الإيمان**» إلى مرتبة «**الإحسان**»، والإحسان إنما هو شعور القلب أنه دائمًا تحت نظر الله تعالى الذي لا يخفى عليه أمر في الأرض ولا في السماء.

والتصوف: نظامٌ لتطهير النفس من كل شوائبها، وطريق للوصول بها إلى «**التقوى**» بالحذر من كل شيء يُبعِد المرء عن الله تعالى، وهو تربية معنوية تكبح غوائل النفس وشهواتها وترتقي بالاستعدادات والقدرات الروحانية.

والتصوف: مدرسةٌ معنوية لتربية النفس وتطهير القلب على يد المربِّين الحقيقيِّن ورثة الأنبياء والمرسلين.

والتصوف:جهاد ضد النفس لا هوادة فيه.

والتصوف: رعاية محبة الله تعالى دائمًا بإظهار الرضا عن ما يقدِّره سبحانه في الأحول كلها، وهو المحافظة على التوازن في القلب أمام تقلبات الحياة ومفاجآتها



This file was downloaded from QuranicThought.com

ومدها وجزرها، وهو تجنب البطر في السرَّاء والضيق في الضرَّاء، وهو رؤية المصائب ابتلاءات من الله ﷻ، والقدرة على جعلها وسيلة لتزكية النفس، وهو مهارة بلوغ حال «**العبد الصالح**» الشاكر الحامد لربه دائمًا بنسيان الشكوى والتذمر.

والتصوف: مسؤوليةٌ يحملها أولئك الربانيون تجاه عباد الله الغافلين الشاردين التائهين، فيعاملونهم ويخدمونهم ويرشدونهم بالرأفة والرحمة والمحبة ابتغاء مرضاة الله تعالى.

والتصوف: اتباع الكتاب والسنة، والحياة في ظلالهما، والفهم عن الله ورسوله فهمًا نابعًا من القلب منعكسًا على السلوك.

وصفوة الكلام أن **التصوف** معرفة رسول الله ﷺ عن قرب، والسعي لتمثُّل الإسلام على أجمل صورة وأكمل حال، وذلك بمحبة النبي ﷺ والتخلق بأخلاقه الرفيعة والاقتداء به.

وأما ما بقي خارج ما ذكرناه ولم يكن له أساس من **قرآن أو سنة** فهو باطل مهما عزا نفسه إلى التصوف، أو التصق به.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فما الشيء الذي لا صلة للتصوف به؟

حين نهمل التصوف فإننا بذلك نهمل الجانب الروحاني للدين، والذي يتمثل في **التقوى والمعرفة**، وعندها لا تبقى من الدين إلا مجموعة من القواعد الفقهية الجامدة، وعلى الجانب المقابل ثمة أشخاص لم يفهموا حقيقة التصوف حين أهملوا الأحكام الظاهرية المتمثلة في الشريعة، وردُّوا كل أمر إلى الأحكام الباطنية، لا سيما في هذه الأيام مع وجود من يدَّعون وصولهم إلى النشوة الصوفية. ولا علاقة **للتصوف** الحقيقي، الذي هو بمثابة الخادم للشريعة، بكل من يفتح الباب أمام شهوات النفس، فيختصر الدين كله بقوله:

«لا ضير في عملك ما دام قلبك طاهرًا».

فعلى سبيل المثال، ثمة أشخاص في أيامنا هذه بعيدون عن روح «المثنوي» يهملون الجانب المتعلق **بالتقوى والوجد** في المولوية، ويحاولون إظهار **السَّماع**[٥]، الذي هو في الأصل **ذكرٌ**، على أنه موروث شعبي استعراضي يؤدونه على صورة جوقة موسيقية.

٥. مصطلح عربي الأصل، استعمله المتصوفة للدلالة على الإنشاد الديني الذي يكون ضمن مجالسهم العلمية أو الروحية. [المترجم]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مع أن مولانا الرومي يشكو في الأبيات الثمانية عشرة الأولى في «المثنوي» من أولئك الغافلين الذين لا يدركون غايته ومقصوده مع سماعهم لأبياته، فيقول:

«صحبت الناس كلهم حتى عرفت صالحهم وطالحهم.

وما زلت في كل مجلس وعلى كل حال أئن وأشكو،

وكلهم يحسب أنه صاحبي وخليلي ولكنه لم يعِ ما ينطوي عليه سري وضميري.

سري الذي فضحتْه آهاتي وأشجاني، لكن هيهات من له عين تبصر أو سمع يعي.

فأنى لروح لم ترتشف خمر المعرفة أن تعي سر أرواح سكرت بها. فأقصر الكلام يا أخيَّ تسلم».

ولا ريب أن مصدر الفيوضات التي تلقَّاها **مولانا جلال الدين** مثل غيره من أولياء الله إنما هو **القرآن والسنة**، ويبيِّن هذه الحقيقة للناس أجمعين في رباعيته الشعرية التي يقول فيها:

«إنني ما دامت الروح محبوسة في هذا البدن عبد لما جاء في القرآن، وسالك درب محمد ﷺ،... ومن نقل عني غير هذا فقد آذاني».



This file was downloaded from QuranicThought.com

وبهذه الكلمات يقدِّم مولانا جلال الدين نفسه «**عبدًا للقرآن، وخادمًا للنبي**»، أي إنه يوضِّح لنا اتِّباعَه الشريعة، وسعيَه لإقامة حياته وفق الكتاب والسنة.

ولكم يُحزِن مولانا جلال الدين مدعٍ ينتسب إلى طريقه وهو مقصر في العمل بالأحكام الشرعية.

ومهما تظاهرت بعض الطرق الصوفية بالخير وحاولت إخفاء مراميها ومصالحها التجارية وغير ذلك، فإنها تبتعد شيئًا فشيئًا عن التقوى التي تتظاهر بها لتقع في نهاية المطاف أسيرة للمنافع المادية فتنكشف بعد ذلك حقيقتها، واستغلالها الدين وسيلة لمكاسب دنيوية لا غير، وتمسي الطريقة التي هي باب لـ «**فناء**» النفس وسيلةً لإشباع رغباتها وشهواتها.

وثمة طرق أخرى لا يراعي أتباعها الحلال والحرام، فتراهم -مع ادعائهم الطهر والتدين- يتساهلون في اختلاط الرجال بالنساء، ويتغاضون عن تكشف المرأة وعدم تقيدها بالستر والحجاب الشرعي، ويتهاونون في تطبيق كثير من الأحكام الشرعية، ويتمادون في ذلك شيئًا فشيئًا حتى تظهر لديهم تلك الميول نحو الآراء الباطلة وإطلاق العنان لرغبات النفس وشهواتها، وكأنهم بذلك



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يزعمون أنه لا تضر مع طهر القلب معصية، وأن صفاء الروح يغني عن طاعة الجوارح.

مع أن هذا الزعم يتناقض تناقضًا واضحًا مع حال النبي ﷺ، الذي لم يستغن بطهر قلبه وصفاء روحه وعلو مقامه عن الوقوف عند حدود الحلال والحرام ومراعاة الأوامر والنواهي.

فالتصوف الحقيقي الذي لا يخرج عن منهج أهل السنة والجماعة إنما هو سعي لتطبيق سنة النبي ﷺ في حياته ظاهرًا وباطنًا، فالنبي ﷺ مع أنه كان في قمة الكمال المعنوي إلا أنه قد كان حريصا أشد الحرص على أداء واجب العبودية لله عز وجل في الظاهر أداءً تامًّا حتى خروج أنفاسه الأخيرة؛ فعلى كل مؤمن- مهما كان موقعه المعنوي ومقامه ومشربه وطريقته- أن يجتهد في تطبيق الأحكام الشرعية، أسوة بهذا النبي العظيم واقتداء به ﷺ.

والحادثة التالية التي يرويها الشيخ **عبد القادر الجيلاني** خير مثال لما ذكرناه:

«خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية، ومكثت أيامًا لا أجد ماء، فاشتد بي العطش، فأظلتني سحابة،



This file was downloaded from QuranicThought.com

ونزل عليَّ منها شيء يشبه الندى فرويت، ثم رأيت نورًا أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر، أنا ربك وقد حللت لك المحرمات- أو قال ما حرمت على غيرك- فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اِخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك بحكم ربك، وقوتك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لربي الفضل والمنة، قال: فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله: قد حللت لك المحرمات». [٦]

والحق أنه لو أعفِيَ عبدٌ- لأحواله الحسنة وأعماله الصالحة ودرجاته العليا- من إقامة حدود الله تعالى، ومراعاة الحلال والحرام، لأعفِي نبينا ﷺ الذي ما بلغ أحدٌ مثل عبوديته لله سبحانه وتعالى.

ويقول **الإمام الربَّاني** في هذا الشأن:

«الاهتمام في الباطن مستلزم للاهتمام في الظاهر، والذي يهتم بالباطن ويعجز عن الظاهر فهو ملحد، وأحواله

٦. ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٦، ص٣٣٣- ٣٣٤.



This file was downloaded from QuranicThought.com

الباطنية استدراجاته[٧]، وعلامة صحة حال الباطن تحلي الظاهر بالأحكام الشرعية، وطريق الاستقامة هو هذا». [٨]

لذلك فإن العبد الذي لا تكون حياته قائمة على منهاج الكتاب والسنة ويهمل ما يفرضه الدين عليه، لا يكون من أهل التصوف الحقيقي مهما ادَّعى التصوف.

فالمؤمن- على سبيل المثال- لن يستطيع المضي في طريق السير والسلوك إذا كان لا يراعي أمر الله في قسمة الميراث ابتغاء منافع دنيوية فانية، فيحرم أخواته البنات من نصيبهن الذي فرضه الله لهن.

ولا يمكن أن نقول أن المرء يحيا التصوف إن كان لا يراعي الأحكام الإسلامية في حياته الأسرية، ولا يمكن أن يرتقي الوالدان درجات الروحانية وهم يحرِمون أولادهما من تعاليم القرآن من أجل دنيا فانية، ويعرضان حياتهم في الآخرة للخطر؛ وما ظنُّ مثل هذَين الوالدين أنهما من أهل التصوف إلا غفلة ما بعدها غفلة.

٧. الاستدراج ضدُّ الكرامة، وهو الخوارق للعادات التي تظهر من الكافر والفاسق والمتمشيخ؛ أي الشخص الذي يتظاهر بالولاية، وهذه الأحوال إنما هي امتحان إلهي يأخذهم شيئًا فشيئًا إلى الهلاك.

٨. الإمام الرباني، المكتوبات، جـ٢، المكتوب: ٨٧.



This file was downloaded from QuranicThought.com

والمرء يظلم نفسه ظلمًا عظيمًا حينما يأكل حقوق العباد في معاملاته التجارية، أو يسعى من أجل منفعة دنيوية على غير ما يُرضِي الله تعالى، أو يميل إلى الخروج عن الطريق بالتسويف. ومن أوضح الأمثلة للحيل التي تلجأ إليها النفس كي تُوقِعَ صاحبها في الحرام إقدامُ إخوة **يوسف** عليه السلام على قتله لغيرتهم وحسدهم إذ قالوا:

﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ [يوسف: ٩]

لذلك فإن ارتكاب الحرام في الحاضر بقصد الإصلاح والتوبة في المستقبل المجهول إنما هو استخفاف بالتوبة ذاتها، وإيقاع للعبد في مستنقع الشهوات النفسانية، وما هذه الحال إلا كحال من يضع على الجرح ملحًا.

فعلينا أن لا ننسى أبدًا قول سيدنا **عمر** رضي الله عنه:

«لا تنظروا إلى صلاة أحد، ولا إلى صيامه، ولكن انظروا إلى من إذا حدَّث صدق، وإذا اؤتمن أدى، وإذا أشفى- أي همَّ بالمعصية- ورع». [٩]

٩. البيهقي، السنن الكبرى، جـ٦، ص٢٨٨؛ شُعَب الإيمان، جـ٤، ص٢٣٠، ٣٢٦.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ونخلص من هذا كله إلى أن المرء إن لم يكن يراعي الأحكام الشرعية في عباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، ومناحي حياته كلها، فلن يثمر سيره في طريق التصوف شيئًا.

ولا ننسى أن الشريعة التي نصفها بأنها الأحكام الظاهرة للإسلام إنما هي مثل الهيكل العظمي الذي يُقِيم أود الجسد، ولا جسد دون هيكل، لكن الدين الذي يقتصر على الظاهر فحسب يكون دينًا منفِّرًا ناقصًا يفتقر إلى الروح والحيوية، وهناك بالفعل من يريد أن يُظهِره على هذا النحو.

فالتصوف الحقيقي من هذا المنظور إنما هو فهمُ الإسلام على النحو الذي فهمه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح وأهل التقوى؛ فهما مفعما بالفيوضات والروحانيات، ثم السعي للعيش وفق هذا الفهم بجوارح تفيض حبًّا، وقلب ينبض وجدًا.

الاستقامة أعظم كرامة

التصوف قبل كل شيء سعيٌ لتنظيم الحياة على منهاج **القرآن والسنة**.



This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]

وكان من قول رسول الله ﷺ في خطبة الوداع:

«...ألا وإني فَرَطُكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم، فلا تسودوا وجهي...». [١٠]

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه». [١١]

فالتصوف الحقيقي إنما هو مراعاة هاتَين الأمانَتين المقدَّستين كما ينبغي؛ وتربية النفس على تطبيق الأعمال القلبية الواردة في الكتاب والسنة مثل **الإخلاص والتقوى والزهد والخشوع والتوبة والرضا**، والاستشفاء من الأمراض النفسانية مثل **الرياء والعُجب والكِبر والغيبة**

١٠. ابن ماجه، المناسك، ٧٦/ ٣٠٥٧.

١١. الموطأ، القدر، ٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

والحسد، وليس التصوف طريقة وصول إلى **الكشوفات والكرامات** بمجموعة من الرياضات والمجاهدات.

والحق أن بلوغ الكشوفات والكرامات ليس مقياسًا للترقي المعنوي، فسيدنا **أبو بكر الصديق** ﵁- الذي تشير كثير من الرويات إلى أنه خير الناس بعد الأنبياء- لم يُذكَر له كثير من الكرامات الظاهرة؛ بل إن كرامته العظمى إطاعتُه رسولَ الله ﷺ بمحبة وصدق لا يدانيه فيهما أحد.

لذلك فإن أولياء الله تعالى لم يعبؤوا بالكرامات المادية الظاهرة، بل كانوا حذرين من إظهار مثل هذه الكرامات التي تجر إلى الغرور والشهرة، فكان مبتغاهم وسعيهم متوجهًا إلى بلوغُ الكرامة الحقيقية، ألا وهي: **العيش على منهاج القرآن والسنة.**

يقول **جنيد البغدادي** قدس الله سرَّه:

«إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، وإلا فإنه استدراج [لا كرامة]».

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويقول **أبو يزيد البسطامي**:

«أردت عبور نهر دجلة يومًا، وحينما وصلتُ إليه اقتربت الضفتان حتى اتَّحدتا فصارتا طريقًا، فتداركت وقلت لدجلة: (والله لا تخدعيني! فصاحب الزورق يحملني بنصف درهم، [أما أنتِ، فتريدين أعمالي الصالحة التي أعددتها طوال ثلاثين عامًا]، فلا يمكنني أن أضيِّع ثلاثين عامًا من عمري من أجل نصف درهم [من أجل كرامة تكون سببًا للغرور والعُجب]، إنني في حاجة إلى كريم لا كرامة)» [١٢]

يقول المولى جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿...**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**...﴾ [الحجرات: ١٣]

التصوف: وقاية من الغفلة بالذكر

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يأمرنا بذكره بكل وسيلة فيقول:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**...﴾ [الأحزاب: ٤١]

ويأمرنا أن نكون معه بالقلب كل حين فيقول:

١٢. عطار، تذكرة الأولياء، ص٢١٧.



This file was downloaded from QuranicThought.com

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ...﴾

[آل عمران: ١٩١]

فإيماننا يقتضي ألا يقتصر ذكر ربنا على أداء الصلوات فحسب؛ بل لا بد من بقاء شعور المعية حتى بعد أداء الصلاة، فكما أنا لا نغيب عن الله تعالى لحظة كذلك ينبغي ألا يغيب عنا الله تعالى لحظة.

وقد كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه الكرام على الإكثار من الذكر، وقد علَّم بعضَهم أورادًا متنوعة[١٣]، واجتمع ببعضهم على ذكر الله تعالى أحيانًا[١٤].

وكان من دعاء **رسول الله** ﷺ خشيةً من البقاء غافلًا عن ذكر ربه:

«**اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين...**». [١٥]

فالقلب يُبتَلى بالغفلة حينما ينسى الله تعالى، لذلك يقول **النبي** ﷺ:

١٣. انظر: ابن ماجه، الأدب ٥٦؛ البخاري، فضائل أصحاب النبي ٩، دعوات ١١؛ مسلم، الذكر ٧٩، ٨٠.

١٤. انظر: أحمد، جـ٤، ص٢٤.

١٥. الجامع الصغير، جـ١، ٥٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

«إنه لَيُغَان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة».[١٦]

وهذا ما يُظهِر لنا أن الاستغفار لا يكون من الذنوب فحسب، بل من كل لحظة نقضيها ونحن لا نذكر الله سبحانه وتعالى، وأصحاب القلوب العارفة دقيقون في مثل هذه الأمور، فهم يرون الأنفَاس التي يتنفسونها وهم غافلون عن المولى آثامًا توجب الاستغفار، فقد جاء في الحديث الشريف:

«ما جلس قوم مجلسًا فلم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة، وما من رجل مشى طريقًا فلم يذكر الله ﷻ إلا كان عليه ترة، وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله إلا كان عليه ترة».[١٧]

وإلى هذا الحديث تُشير الآية ١٩١ من سورة آل عمران إذ يقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ...**﴾، فالإنسان لا يخلو عن حال من هذه الأحوال الثلاثة المذكورة في الآية، أي إن الله

١٦. مسلم، الذكر، ٤١/ ٢٧٠٢؛ أبو داود، الوتر، ٢٦.
١٧. أحمد، جـ٢، ص٤٣٢/ ٩٥٨٠.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعالى يريد منا أن نكون في حالة ذكر دائم، غير أنه وضع شرطًا لقبول هذا الذكر في الآية نفسها فقال:

﴿...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [آل عمران: ١٩١]

أي لا بد أن نذكره بقلب واعٍ واجفٍ متفكِّرٍ بتجليات قدرة الله تعالى وعظمته، ومدركٍ عجزه وفناءه.

ويقول مولانا ﷻ في آية أخرى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]

فالذكر حين يكون لقلقة باللسان دون أثر عميق يبعث الحياة في أوصال القلب فليس بذكر، إنما الذكر الذي يرضاه الله ويريده منا ذلك الذي يحمل القلب إلى معية الله كل حين.

لذلك فإن الترقي في التصوف لا يكون بالمواظبة على المواعظ والرقائق والأوراد في أوقات محددة فحسب، بل يكون أيضًا بسمو الأخلاق والمشاعر، وازدياد القلب سلامةً ورقَّةً وصفاءً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فينبغي حين يواظب المرء على تطهير قلبه بالرقائق والمواعظ والأذكار، أن يزداد لطفا ورقة ورحمة وهمة وخدمة وبذلًا وعطاء، وأن يصير أكثر عفوًا وفهمًا وتحملًا وصبرًا ورضًا وإيثارًا، فيحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه؛ فلا ترقيَّ معنويًّا دون هذه الأخلاق.

والحياة الصوفية حياة يحياها العبد في معية الله تعالى، وفي تجليات الذِكر وفيوضاته، ويعرِّف الشيخ **سامي أفندي** التصوفَ بقوله:

«التصوف تطهير الفؤاد مما سوى الله تعالى بالذكر الدائم». [18]

فحين يتقد في نفس المؤمن هذا الشعور والإدراك فإنه سيعلم- لا محالة- سرَّ الامتحان الإلهي الذي يخضع له.

يقول **عمر بن عبد العزيز** رحمه الله تعالى:

«إن الحرام نار، لا يُقدم عليها إلا من مات قلبه، أما صاحب القلب الحي فلو مد يده إليها لآلمته أيما إيلام».

١٨. محمود سامي أفندي، المصاحبة، جـ٦، ص١٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولذا فعندما ينجو المؤمن، الذي يحيا قلبه بذكر الله تعالى، من الغفلة فإنه:

- لا يقارف المحرمات ولا يدنو من الشبهات.
- ويصون نفسه عما يدنسها من سيئ الظنون والخطرات.
- ولا يلهث وراء فضول المتاع؛ ولا يغوص في مستنقع الباطل والطغيان، ولا ينخدع بملذات زائلة.
- ولا يضيع عمره في الأهواء والرغبات، ولا يُفسِد أعماله بالسفاهة والرذائل.
- بل يزيِّن عمره بفعل الخيرات والحسنات والأعمال الصالحات.
- ويجعل القرآن والسنة هاديًا له في حياته.
- ويؤدي عباداته بخشوع، ويزداد رغبة في حضور مجالس العارفين والصالحين والسعي والخدمة في سبيل الله تعالى.
- فيكون شاهدًا لربه في الأرض، ويدعو له مَنْ في السماء، وحين تنقضي أيامه في هذه الدنيا يخلف وراءه سمعة وذكرى معطرة بالفضائل والأخلاق، فيبقى ذكره على الألسنة ذكرًا طيِّبًا عطرا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأما صاحب القلب الغليظ السادر في الغفلة، البعيد عن ذكر الله تعالى، فإنه على شفا مستنقع الذنوب والآثام، قد يهوي فيه كل لحظة، فالغفلة قنطرة الذنوب، وحين يخطو المرء أولى خطواته في طريق المعصية يسهل عليه بعد ذلك التمادي في المعاصي دون أن يشعر بوخز الضمير ولسعة الندم.

فمدافعة الغفلة بالذكر إنما هو درع التقوى الذي يتقي به العبد الذنوب، أي وسيلة الحماية المعنوية؛ لأنك لن تجد إنسانًا (**يبسملُ**) ويذكر الله تعالى قبل مقارفة معصية ما، فصاحب القلب الذاكر اسم «**الله**» تعالى لا يؤذي غيره ولو بشوكة.

لذلك فإن **التصوف** هو أن تحيا بقلب ينبص بذكر الله تعالى، ويشع بأنوار الإحسان؛ ويعي أنه تحت نظر الله كل حين، والتصوف هو أن نحيا مستظلين بقوله تعالى: وهو معكم أينما كنتم، ومستشعرين قوله تعالى: وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، وموقنين بقوله تعالى: ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، حتى تغدو هذه المعاني دستور حياتنا وعنوان حركاتنا وسكناتنا،



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اللهم اجعل إيماننا إيمانًا يبلغ آفاق الإحسان، ونوِّر قلوبنا بأنوار ذِكرك ومعرفتك ومحبتك، ووفِّقنا لحياة كحياة من رضيت عنهم يا ذا الجلال والإكرام.

آمين!..





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التصوف:

التحرر من إسار الأهواء،

والارتقاء بالروح في مراقي الفلاح.

يقول الشيخ **أبو الحسن الخرقاني**:

«كما أن الصلاة والصوم فرضان يجب أداؤهما، فكذلك تزكية النفس عن أمراضها وتطهير الفؤاد من أدوائه».

فالكبر منازعة لله تعالى في صفة المتكبر، والأنانية مشاركة لله تعالى في ملكه، وكلا هاذين الوصفين لا يتفقان وعقيدة التوحيد في نفس المؤمن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

التصوف:
التحرر من إسار الأهواء،
والارتقاء بالروح في مراقي الفلاح.

إن للنفس عند الله تعالى شأنًا عظيمًا، وكثيرًا ما عني بذكرها في كتابه العظيم، فيقول في سورة الشمس عنها بعد أن يقسم سبع مرَّات متتالية:

﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[الشمس: ٩-١٠]

أما اليوم فنرى حصونَ حياتنا المعنوية تتهاوى تحت ضربات العولمة وما تحمله في طياتها من ثقافة الاستهلاك والإسراف والتهافت على الكماليات، وثقافة الإعلام التي تثير غرائز النفس وتهيج مفاتنها، فتخبطت عقول الناس وقلوبهم خبط عشواء، حتى صعُب التفريق بين الغاية والوسيلة، فبعد أن كان الطعام وسيلة للتقوي على أداء حقوق العبودية لله تعالى، بات في ظل هذا السُّعار الذي نعيشه غاية في نفسها، وصارت القلوب في أَسْر الدنيا والماديَّات، والنفوس في قبضة الشهوات

This file was downloaded from QuranicThought.com

والمحرَّمات، ونضب الاطمئنان من القلوب فباتَ الإنسان يتقلب في مآزق فردية تارة واجتماعية تارة أخرى، ورأى الناس الدنيا وكأنها دار القرار، ونسوا الآخرة والجنة والنار.

لذلك فإن من أهم المهمات اليوم التربيةَ الصوفيةَ التي تزكي النفس وتطهر القلب، فالتصوف يربِّي الإنسان على الحمد والشكر والرضا والزهد والاستغناء والقناعة، ويُنجِّي القلب من الوقوع في أسر شهوات النفس بإدراك حقيقة أن العيش إنما هو عيش الآخرة.

أولى مقامات التصوف إدراك الفناء

يسعى التصوف إلى نزع الأنانية والغرور والكِبر من قلب العبد، وذلك بأن يدرك حال «الفناء» و«العدم».

لقد كان سلطان العارفين الشيخ **شاه نقشند** من أرباب العلم، غير أنه كان ينظِّف الطرقات في السنوات الأولى من انتسابه للطريقة، ويخدم المرضى والعجزة وحتى الحيوانات الجريحة، فكان قمة في التواضع وإنكار الذات، وخير دليل على حاله التي كان عليها قوله:

«العالَم قمح وأنا قشة، الكل حسن وأنا السيء»



This file was downloaded from QuranicThought.com

وذات يوم ذهب الشيخ **خالد البغدادي** (١٧٧٨-١٨٢٧م) الملقَّب بـ «شمس الشموس» إلى زاوية الشيخ **عبد الله دهلوي** (١٧٤٣- ١٨٢٤م)، إلا أن الشيخ دهلوي لم يخرج لاستقباله، ولا سمح لذلك العالم الكبير باستعمال محرابه أو منبره، بل جعله ينظف بيت الخلاء، كي يكسر بذلك أنانيته ويعلِّمه فناءه.

وحين كان الشيخ **عزيز محمود هُدائي** (١٥٤١-١٦٢٨م) قاضيًا في بورصا مرَّ بمراحل مشابهة حتى وصل إلى حقيقة فناء النفس وعدمها، إذ تربَّى في زاوية الشيخ **أُفتاده**، وكان عليه أن يبيعَ الكبدَ في أزقة بورصا، وبعد أن أفلح في هذه المراحل التي استأصلت منه الغرور والكِبر والأنانية صار مرشدًا كاملًا عظيمًا يتتلمذ على يديه عظماء السلاطين آنذاك، ولقد عرف التاريخ كثيرًا من القضاة لا يُحصى عددهم، غير أن الشيخ هُدائي ما زال حيا في صفحات التاريخ وعلى ألسنة الخلق وأفئدتهم.

ولا ريب أن أصول تربية النفس تستند إلى التربية النبوية وحياة الصحابة الكرام، كما هو الحال في الطرائق والأصول الصوفية كلها، والحادثة التالية خير دليل على ما نقول:



This file was downloaded from QuranicThought.com

فعن **زيد بن ثابت** ﵁ قال:

رأيت على **عمر** ﵁ مرقعة فيها سبع عشرة رقعة، فانصرفت إلى بيتي باكيًا ثم عدت في طريقي فإذا عمر وعلى عاتقه قربة ماء وهو يتخلل الناس، فقلت: «يا أمير المؤمنين!» فقال لي: «لا تتكلم وأقول لك» فسرت معه حتى صبها في بيت عجوز وعدنا إلى منزله، فقلت له في ذلك، فقال: «إنه حضرني بعد مضيك رسول الروم ورسول الفرس، فقالوا: (لله درك يا عمر! قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك)، فلما خرجوا من عندي تداخلني ما يتداخل البشر فقمت ففعلتُ بنفسي ما فعلتُ». [١٩]

فكل شيء في التصوف يبدأ بإدراك حال «**الفناء**»، وذلك بإلجام النفس عن مطامحها وأهوائها، والقلوبُ التي بلغت هذه الدرجة تفيض بالفضائل والقيم.

ولنذكر هنا مثالًا آخرَ من حياة سيدنا عمر ﵁:

فعن **إياس بن سلمة**، عن أبيه، قال:

١٩. محب الدين الطبري، الرياض النضرة، جـ٢، ص٣٨٠.



This file was downloaded from QuranicThought.com

مَرَّ**عمر بن الخطاب** ﷺ في السوق ومعه الدِّرَّة[٢٠]، فخفقني بها خفقة، فأصاب طرف ثوبي، فقال: «أمطْ عن الطريق»، فلما كان في العام المقبل لقيني، فقال: «يا سلمة، تريد الحج؟» فقلت: «نعم»، فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمئة درهم، وقال: «استعن بها على حجك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك»،قلت:«يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها!»، قال: «وأنا ما نسيتها».[٢١]

يقول الشيخ **أبو الحسن الخرقاني**:

«إنما يترقى أهل الله وأولياؤه في مقامات العرفان بتزكية النفوس وإخلاص الطاعات».[٢٢]

«كما أن الصلاة والصوم فرضان يجب أداؤهما، فكذلك تزكية النفس عن أمراضها وتطهير الفؤاد من أدوائه».[٢٣]

والحق أن السر الذي يوصِل أولياء الله إلى قمة الكمال إنما هو تواضعهم وشعورهم بفنائهم وعدمهم،

---

٢٠. سوط يضرب به.
٢١. الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٢٢٤.
٢٢. عطار، تذكرة، ص٦٢٢.
٢٣. عطار، تذكرة، ص٦٢٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

لذلك كان من أقوال العارفين:

«حين تغيب عن المخلوق، يبقى الخالق».

ومن أشد الطباع السيئة التي تتركها النفس: الغرور، والكِبر، والأنانية، وكان من أقوال أبي هاشم الصوفي- وهو من أوائل المتصوفة-: «لَحَفرُ الجبل بإبرة أهون من إزالة الكِبر من القلب»، وما لم يفلح المرء في هذا، فلن يبلغ الكمال البشري الذي يستحثنا الدين عليه.

يقول النبي ﷺ:

«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» [٢٤]

فالغرور والكِبر والعُجب والأنانية عقبات في طريق ترقي الروح، والغاية من التربية الصوفية إنما هي ترك «الأنا» التي تُولَد من النفس، والقضاء على تلك الأنانية بقول: «أنت يا رب».

وكان **لمنصور الحلاج** مكانة عظيمة في قلوب العارفين بالله تعالى، ونُقل عمَّنْ رأى حاله أنه حين عُلِّق على المشنقة ليُصلَب جاءه **إبليس** فسأله:

٢٤. مسلم، الإيمان، / ٩١١٤٧.



This file was downloaded from QuranicThought.com

«لقد قلْتَ: (أنا) مرة، وأنا قلتُ: (أنا) مرة، فكيف تنزَّلت عليك الرحمات بينما نزلت عليَّ اللعنات!»

فأجابه الحلاج:

«أنت بقولك: (أنا) رأيت نفسك أعلى وأشرف من آدم، فأظهرت كِبْرك، أما أنا فقد قلت: (أنا الحق)، فأفنيت ذاتي في الحق تعالى، [وكأنه يقول: لقد دفعت أنانيَّتي وسلَّمت أمري لربي، كالنهر الذي يفقد كيانه حين يصب في البحر.]

إن الكِبرَ الذي يضخم الأنا علامةٌ من علامات جهنم، أما التخلص من الأنا، أي الفناء في الحق فيعني (المحوية)، فلهذا نزلت الرحمات عليَّ، ونزلت اللعنة والذِّلة عليك».

لقد كان إبليس أول من عصى أمر المولى ﷻ، وبدل أن يعترف بذنبه ويطلب العفو ويلوم نفسه ويتوب، صار أسير الغرور والكِبر والأنانية، وأصرَّ على خطئه، ولم يندم، فنزلت عليه لعنة الله تعالى.

وحين اقترب سيدنا **آدم** عليه السلام وأمُّنا **حواء** من الشجرة– التي أمرهم الله تعالى أن لا يقرباها– استجابا لوسوسة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الشيطان، فكان ذلك أول ذنب يُرتكَب، لكنهما لم يكونا مثل إبليس، إذ لم يسعيا لإخفاء ذنبهما بالحجج والذرائع، بل لامَا نفسَيهما وتابَا إلى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحا:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

فأظهَرَا فضيلة الرجوع عن المعصية، والتجأَا إلى رحمة الله تعالى ومغفرته، فلطف الله تعالى بهما وقَبِل توبتهما واستغفارهما.

فالصراع الأعظم في التصوف إنما هو صراع مع النفس وتعريفها حدودها مع ربها، لأن النفس تتبع أخطاء الآخرين وعيوبهم ويصيبها العُجب والغرور حتى أثناء العبادة.

ويحدِّثنا الشيخ **سعدي الشيرازي** في كتابه (غولستان) عن إحدى ذكرياته، فيقول:

أذكر جيدًا أنني في صغري كنت كثير التعبد، فقد كنت أقوم الليل وأشتغل بالعبادة، وفي إحدى الليالي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كنت أجلس بجانب أبي، ولم أغمض عينيَّ فيها أبدًا، وما تركت قراءة القرآن الكريم، وكان بعض الناس ينامون بجانبنا، فقلت لأبي:

«لا أحد من هؤلاء يرفع رأسه عن الوسادة كي يصلي ركعَتي التهجد، بل ينامون كالأموات». فقطَّب أبي جبينه، وقال:

«يا بني، ليتك نمت مثلهم ولم تغتب أحدًا».

وكأن الأب يعلِّم ابنه سعديًّا الدرس التالي:

«حتى لو حُرِم هؤلاء الذين تحتقرهم من رحمات الأسحار وفيوضاتها، فإن الملائكة لا تسجِّل أي سيئة عليهم، أما أنت فقد كُتِب في سجل أعمالك أنك احتقرت إخوانك في الدين واغتبتهم...»

فللنفس- كما رأينا- حيل ومكائد كثيرة قد يكون ظاهرها حقًّا وباطنها باطلًا، وكل من يرى نفسه أرفع شأنًا من غيره ويجد ذلك الشعور بـ«**الأنا**» فهو بعيد عن الصراط المستقيم، ولو كان مرشدًا في طريق الخدمة.

والحادثة التالية مليئة بالحكم:

بينما كان الإمام **أحمد بن حنبل** راجعًا من السوق في



This file was downloaded from QuranicThought.com

بغداد، رآه رجل فأسرع إليه يريد أن يحمل عنه حِملَه، فلما أبى الإمام، قال الرجل:

«يا سيدي، خدمة أكابرنا واجب علينا»، وأصرَّ على ذلك.

غير أن الإمام أجابه إجابة حكيمة، فقال:

«إن رأيتُنِي من الأكابر الذين يُحمَل حِملهم، فذلك الكِبر، ودليلٌ على أنني من أراذل الناس، فإن عظَّمتَني فلك الأجر وعليَّ الغفلة، وخير لي أن أحمل حملي ولا أُراني عظيمًا، **فيوم الحشر كلٌّ حامل حِمَله، ولا أحد يحمل حمل غيره**».

فالسر وراء عظمة هؤلاء السلف تواضعُهم وتذللُهم وشعورُهم بالفناء، وأما أولئك المتصدرون للإرشاد في بعض الطرق- لا سيما في أيامنا هذه- فَهُم يسعون إلى السيطرة والنفوذ، وترى سلوكهم كسلوك المغتر المتكبِّر الأناني، فيفسدون الطرق التي يمثلونها ويكونون قدوة سيئة لأتباعهم، ولا بد أن نعلم أن أي طريق من طرق الروحانية ليست مِلكًا لأحد فالَمثَل الشعبي يقول:

«المحكمة ليست مِلكًا للقاضي».

This file was downloaded from QuranicThought.com

التصوف: صحبة الصالحين

يضرب لنا الشيخ سعدي رحمه الله تعالى مثًلا يبيِّن به انتقال الأحوال وتأثير ذلك في حياة المرء الروحانية فيقول:

«لقد بلغ قطمير -كلب أصحاب الكهف- شرفًا عظيمًا لصحبته الصادقين، حتى ذُكِرَ في القرآن الكريم، أما زوج سيدنا نوح وزوج سيدنا لوط فقد دخلتا النار لتعاطفهما مع الفاسقين وصحبتهما إياهم [فلم ينفعهما كون زوجيهما نبيِّيَن]».

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

«إن صحبة الفاسقين والغافلين الظاهرية تتحول إلى صحبة ذهنية مع مرور الوقت، وهذه الأخيرة تتحول إلى صحبة قلبية بعد ذلك، وهو ما يعني انجرار الإنسان نحو الهلاك شيئًا فشيئًا».

وينبِّه الشيخ عبيد الله أحرار رحمه الله تعالى (١٤٠٤- ١٤٩٠) أحبابَه في هذا الأمر فيقول:

«إن صحبة المتساهلين في الدين والغافلين عن رب العالمين تؤدي إلى فتور القلب، وشتات الروح، وتعاسة الفؤاد».

This file was downloaded from QuranicThought.com

فلا يليق بالمؤمن التقي أن يصحب الغافلين، فالتهاون في هذا الأمر قد يودي بصاحبه إلى الخسران حين يوضَع الميزان، يقول رسول الله ﷺ:

«المرء مع من أحب» [٢٥]

أي إن الإنسان سيُحشر يوم القيامة مع من كان يألفه في الدنيا ويستأنس به.

وصحبة الغافلين تؤثر سلبًا في المرء وتضيق صدره، وأما صحبة الصالحين فتؤثر إيجابًا فيه وتشرح صدره، وببركة الارتباط المعنوي مع هؤلاء يبلغ المرء ما لم يبلغه من الفيوضات والتجليات.

لذلك يأمر اللهُ تعالى المؤمنين أن يكونوا مع عباده الصادقين والصالحين فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩]

وإذا تدبرنا هذه الآية نجد أن المولى ﷻ لم يقل: «كونوا صادقين»، بل قال: **﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** لأن الصدق نتيجة طبيعية لصحبة الصادقين.

٢٥. البخاري، الأدب، ٩٦ / ٦١٦٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقول الشيخ عبيد الله أحرار رحمه الله تعالى:

«إن الأمر في قوله تعالى: ﴿**كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ يعني الصحبة والمعية الدائمة، ولأن المعية في الآية ذُكِرَت بصورة مطلقة، فلها وجهان: أحدهما فعلي والآخر حُكمي، فأما المعية الفعلية فوجودُ العبد فعلاً في مجالس الصادقين بقلب حاضر، وأما المعية الحُكمية فتخيُّل أحوال الصادقين في غيابهم».

إن الشعور بمحبة الصالحين والقرب منهم في غيابهم والنظر إلى الحياة والحوادث من منظورهم يبعث الروحانية في الفؤاد، وهذا ما يطلق عليه اسم «الرابطة» التي يرفع التصوف من شأنها كثيرًا.

الرابطة، صحبة القلب...

الرابطة حفاظٌ على المحبة حيَّة ندية في القلوب دائمًا، وإننا لا نجد إنسانًا في الكون دون رابطة، فكل كائن قلبه- لا محالة- مرتبط بغيره.

فالرابطة بالقلب موجودة لدى الوالدَين تجاه أولادهم، والأولاد تجاه والديهم، وبين الزوجين، والمرء تجاه مَنْ يتَّخذه قدوة لنفسه، وإذا كانت هناك

This file was downloaded from QuranicThought.com

رابطة محبة طبيعية في مثل هذه الأمور الدنيوية الفانية، أفلا تكون هناك رابطة في العالم الروحاني؟

وخير مثال للرابطة بمعناها الصوفي تلكم المحبة التي كانت في قلوب الصحابة الكرام ﵃ للنبي ﷺ.

وبذلك الارتباط القلبي بين الصحابة ورسول الله ﷺ انصبغت أرواحهم بأحوال النبي ﷺ، حتى استطاعوا رضوان الله عليهم أن يتلذذوا بقولهم للنبي ﷺ بكل صدق وإخلاص: « فداك أبي وأمي يا رسول الله!»، فحين افتدوا بكل شيءٍ في سبيل الله ورسوله عرفوا الشكر والمنة في قلوبهم.

وحين فهموا معنى الحديث الشريف: «**المرء مع مَنْ أحب**»[٢٦] وعملوا به، صاروا في معية النبي ﷺ حالاً وعملاً وإحساسًا وفكرًا حتى في غيابه، فكان ذلك لطفًا وكرمًا من الله لهم ببركة تلك المعية القلبية.

وحين أسر مشركو مكة **خبيبًا** ﵁، لم يطلب إلا طلبًا واحدًا، وهو السلام على رسول الله ﷺ...لكن لم يكن عنده من يرسل سلامه هذا للنبي ﷺ! فرفع عينيه بحزن إلى السماء ودعا:

---

٢٦. البخاري، الأدب، ٩٦ / ٦١٦٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

«اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم إنه ليس ها هنا أحدٌ يبلغ رسولك السلام عني، فبلِّغه أنت عني السلام!»

وفي ذلك الحين كان رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه، فأخذه كما كان يأخذه إذا أنزل عليه الوحي، ثم قال ﷺ: «**وعليه السلام ورحمة الله**»، ثم قال: «**هذا جبريل يُقرئني من خبيب السلام**».[27]

وقبل صلح الحديبية بعث رسول الله ﷺ سيدنَا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحربهم، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحرمته، فقالت قريش لعثمان رضي الله عنه:

«إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به».

فقال- وهو الصحابي الذي نذر نفسه لله ورسوله- معلنا ولاءه: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ» فاحتبسته قريش عندها.[28]

ولما بلَغَ رسول الله ﷺ والمسلمين في الحديبية أن

27. انظر: البخاري، الجهاد، ١٧٠، المغازي ١٠، ص٢٨؛ الواقدي، جـ١، ص٣٥٤- ٣٦٣.
28. أحمد، جـ٤، ص٣٢٤.



This file was downloaded from QuranicThought.com

عثمان قد قتل، أخذ رسول الله ﷺ البيعة من المسلمين على حرب المشركين مظهرًا بذلك إخلاصًا عظيمًا لصحابته، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**»، فضرب بها على يده، وقال:«**هذه لعثمان**». [٢٩]

فعلى هذه الصورة كانت الصحبة بالقلب لدى الصحابة الكرام في غياب رسول الله ﷺ، وكأنهم كانوا أجسادا مختلفة لكن على قلب واحد.

ولا ريب أن خيرَ مثال نذكره في شأن الرابطة سيدُنَا أبو بكر رضي الله عنه وارتباطه القلبي مع النبي ﷺ.

لقد كان رباط محبة النبي ﷺ عند أبي بكر رضي الله عنه قويًا حتى إنه كان راضيًا أن يضحي بالدنيا كلها في خدمة النبي ﷺ وطاعته، وقد قال النبي ﷺ عن سخاء أبي بكر رضي الله عنه:

«**ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر**».

أما سيدنا أبو بكر الصديق فقد أحسَّ أنه حين أفيض عليه هذا الثناء قد انفصل عن النبي ﷺ وصار من الأغيار، فشعر بألم حارق يشبه نيران الافتراق التي تشتعل في

٢٩. البخاري، أصحاب النبي، ٧.



This file was downloaded from QuranicThought.com

أعماق الروح، فبكى وأصابه قلق من أن يكون من «الغير» وقال:

«وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله».[30]

فكان قوله توضيحًا منه ﵁ أنه قد نذر نفسه لرسول الله ﷺ برضا وتسليم تامَّين، وعلةُ ذلك أن قلبه صار مرآة متلألئة تعكس قلب رسول الله ﷺ، فكان أقربَ الصحابة لرسول الله ﷺ وأكثرهم اطلاعًا على أسراره، وكان لكل شيء يخص النبي ﷺ قيمة عظيمة في قلبه ﵁، فكان خير الصحابة وأولهم إدراكا لآيات الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ وما وراءها من حكم، ففهم بفراسته وبصيرته كثيرًا من اللطائف النبوية التي لم يفهمها غيره من الصحابة.

ففي حجة الوادع نزلت الآية:

﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة : ٣]

ففرح القومُ بكمال الدين، غير أن سيدنا أبا بكر ﵁

---

٣٠. ابن ماجة، المقدمة، ١١/ ٩٤؛ أحمد، جـ٢، ص٢٥٣/ ٧٤٤٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أدرك أن الله تعالى آخذٌ أمانته من رسوله الكريم ﷺ، فاغتم لذلك وأخذت نيران الفراق تحرق فؤاده.

ومثال آخر يدلنا على فهمه وبصيرته أنه حين أقامه النبي ﷺ إمامًا للمصلين في مرضه الذي مات فيه، خرج عليهم ﷺ وهو عاصب رأسه، حتى صعد على المنبر، فقال:

«**إن عبدًا عُرِضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة**».

فلم يفطن لها أحد من القوم إلا أبو بكر رضي الله عنه، فحزن لذلك كثيرًا، إذ أدرك ببصيرته أن رسول الله ﷺ يودِّعهم، فبكى حتى اخضلَّت لحيته، وقال:

«بأبي أنت وأمي، بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا».[٣١]

وقد أصابت الحيرة الصحابة حين رؤوا سيدنا أبا بكر يبكي، فقالوا:

«ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خَيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله».[٣٢]

إذ لم يخطر على بال أحدهم أن العبد الصالح الـمُخيَّر

٣١. انظر: أحمد، جـ٣، ص٩١/ ١١٨٦٣.

٣٢. البخاري، الصلاة، ٨٠.



This file was downloaded from QuranicThought.com

هو رسول الله ﷺ، ولم يدروا الحقيقة التي دراها أبو بكر رضي الله عنه.

ثم قال رسول الله ﷺ مخفِّفًا عن أبي بكر رضي الله عنه، ومبيِّنًا علو شأنه بين الصحابة:

«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة».[٣٣]

«إن أَمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر،[٣٤] إني رأيت على باب أبي بكر نورًا»[٣٥].

والمعنى الإشاري لذلك أن باب القرب المعنوي من رسول الله ﷺ لا يُفتح إلا عندما يكون العبد مثل أبي بكر رضي الله عنه في صدقه وتسليمه وطاعته وتضحيته وصحبته ومحبته للرسول ﷺ.

٣٣. علي المتقي، كنز العمال، جـ١١، ص٥٧٤.

٣٤. البخاري، أصحاب النبي ٣، مناقب الأنصار ٤٥، الصلاة ٨٠؛ مسلم، فضائل الصحابة ٢؛ الترمذي، مناقب ١٥.

٣٥. ابن سعد، جـ٢، ص٢٢٧؛ علي المتقي، كنز العمال، جـ١٢، ص٥٢٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، جـ٣٠، ص٢٥٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وصفوة الكلام أن الرابطة التي هي الحفاظ على المحبة في القلوب تعني السعي إلى الاستفادة المعنوية من الصحبة، بتقوية الارتباط القلبي عبر سلسلة المرشدين الكاملين الواصلة إلى النبي الكريم ﷺ.

من في اليَمَن جانبي...

إذا ما أكرم الله تعالى العبد بصحبة الجسد إلى جانب الصحبة المعنوية مع أولياء الله تعالى، فهي «نور على نور»، غير أن الاقتصار على الصحبة الفعلية الجسدية في التربية الصوفية غير مقبول، لأن الإنسان قد يقف أمام المرشد الكامل دائمًا، ولكنه -لغفلته- لا يحظى بأي شيء.

فالمريد الحقيقي- وإن تناءت به الديار عن مرشده- ينال ما يناله من فيوضات كثيرة، وذلك بمشاعر الاحترام والتبجيل التي يكنُّها لمرشده، والشوق إليه والارتباط به.

وكان من أقوال كبار أهل التصوف: «مَنْ في اليمن جانبي، ومَنْ في جانبي في اليمن»، لهذا ينبغي للعبد عدمُ فقدان حال الرابطة؛ أي مشاعر الصحبة بالقلب حيثما كنا.



This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول رسول الله ﷺ:

«**إن أولى الناس بي المتقون، مَنْ كانوا، وحيث كانوا**» [٣٦]

وقد وضعَ بعضهم الرابطة- التي تُعدُّ من الأصول المهمة في التربية الصوفية- ضمنَ مسائل الإيمان والكفر، وهذا ما عرَّضها للانتقاد الشديد لاسيما مع بداية القرن التاسع عشر، مع أن الرابطة- كما ذكرنا سابقًا- حال طبيعية أثبتها علم النفس، ولا صلة لها بالاعتقاد.

ويقول عبيد الله أحرار رحمه الله تعالى في هذا الشأن:

«ألا يقع المرء في الكفر حين يكون قلبه معلَّقًا بالمال والملك وما شابههما من الرغبات الدنيوية النفسانية؟ وهل يكون مخطئًا حين يكون قلبه مرتبطًا بمؤمن ويشعر بالمحبة تجاهه؟». [٣٧]

وليس أنفع ولا أروع للمسلم من صحبة الصالحين والأولياء والمرشدين الكاملين، وإلا، فإن الصحبة تكون مع الضائعين والغافلين؛ لأن الطبيعة البشرية تبحث دائمًا عمَّنْ تصاحبه وتعيش في كنفه، وعن جماعة ترتبط بها

---

٣٦. أحمد بن حنبل، جـ٥، ص٢٣٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٩، ص٢٢.

٣٧. علي بن حسين صافي، رشحات عين الحياة، جـ٢، ص٦٣٦-٦٣٧.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وتحيا في ظلالها، وهو ما عبر عنه المثل القائل: «الطبيعة لا تعرف الفراغ».

وكان من أقوال الإمام الشافعي حمه الله تعالى:

«نفسُك، إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر».

والخلاصة أن الرابطة سعيُ المريد لتقليد مرشده في أعماله الصالحة وأحواله الحسنة، وذلك بالمحافظة على المحبة التي يشعر بها تجاه مرشده في قلبه حية ندية دائمًا أبدًا، فكلما كانت صحبة الصالحين أكثر وإرشاداتهم أعظم، ازداد تأثير محبتهم في المريد وانتفع بها.

التصوف سيرة لا صورة

ما دام حديثنا عن الصورة فلا بد هنا من أن نتحدث قليلًا عن هذا الموضوع وعلاقته بالاستفادة الروحانية من الصالحين، إذ نلاحظ في الآونة الأخيرة الإقبال الكبير على التصوير بسبب التقدم التكنولوجي في هذا الشأن، حتى غدا كل امرئ مصِّورًا لديه مئات بل آلاف من الصور، وصرنا نرى- مع الأسف - آلات التصوير لا تقف عن العمل حتى أثناء الطواف حول الكعبة، والوقوف على عرفات، وزيارة الروضة الشريفة، وهذا ما



This file was downloaded from QuranicThought.com

أضرَّ بروحانية العبادة وفيوضاتها، وليس ذلك إلا ضربًا من الهوس والجنون.

وهو ما نراه أيضًا أثناء حضور الصُحب والمجالس الروحانية، فبدل أن ينتفع المريد بها ويأخذ الدروس بالمعية بالقلب والتفكر والانتباه، نراه منشغلًا بكاميرته، ولا ننكر هنا أن ذلك قد يكون عن حسن نية، أو بغية الاحتفاظ بذكرى؛ غير أن المبالغة في هذا الشأن يضاهي المبالغة في تناول جرعة الدواء، فتغدو سمًّا حينها.

وينبغي لنا ألا ننسى أن «الرقابة الإلهية» تسجل كل ما يصدر عنا من حركات وسكنات، في الأصباح والأماسي والأصائل والضحوات، وسنجد كل ذلك أمامنا يوم العرض الأكبر.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

وقد ذكرنا فيما سبق أن المهم في الرابطة والمعية مع الصالحين إنما هو المعية القلبية والروحية لا المعية الظاهرية الشكلية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول الشيخ سامي أفندي رحمه الله تعالى:

«لا يلزم التفكر في المرشد في الرابطة، بل اللازم المحبة، لأن الإنسان دائمًا يضع حبيبه أمام عيني (فؤاده)».[٣٨]

إن الصورة تحبس خيال المرء في إطار مادي لا يخرج عنه مع أنه قادر على الوصول إلى أعلى درجات التجرد والروحانية، ولا يخفى على أحد الأحكام الإسلامية الخاصة بالتصوير. وليست صورة الإنسان إلا قالبه، لكن المهم جوهرُه؛ أي قلبه، وطريق التصوف ليس طريق صُوَر بل طريق سِيَر، فالمقصود من معية الصالحين والصادقين إنما هو المعية بسيرهم لا صورهم، وما لم يضمن المرء إيجاد خطوط معنوية تنتقل عبرها الروحانيات من القلوب إلى القلوب، فلن تفلح أي واسطة صنعية في هذا الشأن، لأن المبتغى إنما هو بقاء الانطباعات والخواطر السامية خالدة في الفؤاد.

يقول سيدنا علي رضي الله عنه:

٣٨. محمود سامي رمضان أوغلو، المصاحبة، جـ٦، ص١٥١.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«كونوا مع الصالحين والصادقين والزموهم [تنتقل أحوالهم إليكم]، فيشتاق إليكم الناس في الحياة، ويحزنوا عليكم بعد الممات».

اللهم أكرمنا بصحبة أحبابك، واجعل أخلاقنا كأخلاقهم، ولا تحرمنا من قلب سليم يذكرك ويشكرك ويتفكر في آلائك كل حين يا رب العالمين.

آمين!..





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

طريق القلب السليم

إن الإنسان حين يهمل قلبه –دون أن يترقى به في درجات الكمال– فإنه لن ينتفع بعلمه مهما بلغ، بل قد يغدو وبالا عليه لا نعمة؛ فالطبيب مثلًا قد يصبح– بدل أن يعالج الناس– جزَّارًا يتاجر بأعضائهم لمنفعة مادية، وقد يمسي رجل القانون– بدل أن يرسي أسس العدل– زعيمًا لعصابة أو مدافعًا عن الظلم وأهله، ورئيسُ الدولة قد يصير رمزًا للظلم والفساد، وعالمُ الدين قد يغدو رمزًا للشجع والنفاق.

فالنفس حين تكون أسيرة شهواتها تجعل من عِلمها آلة لمنافع دنيوية دنيئة.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT


This file was downloaded from QuranicThought.com

طريق القلب السليم...

لقد أكرمنا الله تعالى بأن خلقنا في «أحسن تقويم» وعلى فطرة الإسلام، غير أنه جعلنا في هذه الدنيا في امتحان، فوضع فينا تلك «النفس» التي تميل إلى «التقوى» أو «الفجور»؛ أي إلى الخير أو الشر.

فالنفس أصعب عائق ينبغي لنا أن نتجاوزه كي نفوز في امتحان الحياة الدنيا، ولا بد لنا كي نتغلب على النفس من أن نزكِّيَها، أي علينا أن نسلك طريق التربية المعنوية حتى نصل بالنفس إلى الكمال.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

«بالتربية تطبع الإنسان على الشكل الذي تريد».

فقد نرى طفلَين في سنٍّ واحدة، يمر أمامهما كلب جائع، فيقدم أحدهما الحليبَ له، وأما الآخر فيرميه بالحجارة؛ وما ذلك إلا انعكاس للتربية التي تلقَّيَاها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

لذلك ينبغي أن يخضع الإنسان لتربية معنوية تخلِّصه من ميوله السيئة وتقوي الطاقات والميول الإيجابية في فطرته.

وقد وضَّح الإمام الغزالي وجود ثلاث قِوَى فطرية في الإنسان تؤثر في أحواله وسلوكه، وهذه القِوى هي:

١- القوة العقلية.

٢- القوة الغضبية.

٣- القوة الشهوية.

وهذه الثلاث تنعكس على الحياة في ثلاث صور: الإفراط، والتفريط، والاعتدال.

فالإفراط في القوة العقلية مكرٌ، والتفريط حماقةٌ، وأما الاعتدال فنيلٌ للحِكَم والفراسة باستخدام العقل في ظلال القرآن والسنة.

والإفراط في القوة الغضبية غيظٌ، والتفريط جُبنٌ، وأما الاعتدال فشجاعةٌ؛ أي استعمال القوة والجسارة في مكانهما عند اللزوم.

وخير شاهد على هذا الكلام سيدنا علي رضي الله عنه إذ كان يقاتل كافرًا، فلمَّا تمكَّن منه وهمَّ بقتله بصق الكافر في



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وجهه فتركه، فهو ﵁ لم يكن يجاهد لغضب أو غرور، بل تنفيذًا لأمر الله تعالى، فظهرت منه هذه الأخلاق بعد أن تغلَّبَ على غضبه كي لا يشوب أيٌّ غرضٍ نفساني العملَ الذي يؤديه إرضاءً لله تعالى؛ أي إن سيدنا عليًّا رضي الله تعالى عنه جعل قوته الغضبية تحت إرشاد القرآن والسنة، واستعملها في صورة منضبطة بضوابطهما.

والإفراط في القوة الشهوية فجورٌ وقلة أدب وانعدام أخلاق، والتفريط فيها فتورُ همة، وأما الاعتدال فأدبٌ وعفة وحياء.

إن الإسلام يُنظِّم سلوك البشر وأفعالهم القائمة على القوى العقلية والغضبية والشهوية، ويحدِّد أشكالها المشروعة والمقبولة، ومثال ذلك «القاتلُ» و«المجاهدُ» إذ يأتيان بالفعل نفسه ظاهرًا، غير أن القاتل يُعدُّ مرتكبًا لإحدى الكبائر لأنه قتل لنفس، أما المجاهد فيكون فعله فضيلة لأنه جهاد في سبيل الله تعالى.

و«الربا» و«التجارة» متشابهان في الظاهر من حيث إنهما يؤديان إلى ربح مادي، غير أن الربا حرام لأنه



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استغلال لحقوق الفرد والمجتمع، وأما التجارة فوسيلة للربح الحلال.

و«الزنا» و«الجماع» كذلك متشابهان في الظاهر، غير أن الزنا فعل حرام وسلوك قبيح وضياع للأنساب واستهانة بالعفاف، وأما الحياة الأسرية التي تحيط بها العفة والتي تكون وسيلة لذرية صالحة ومجتمع مطمئن مستقر فهي حلال وخير، يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]

فالأفعال البشرية التي يشبه بعضُها بعضًا في الظاهر تؤدي إلى السعادة أو الهلاك على حسب خضوع النفوس لتربية ربَّانية أو عدم خضوعها.

فغاية التربية المعنوية صونُ قوة الإنسان وميوله عن الإفراط والتفريط، وجعلها في اعتدال مقبول كما بيَّن القرآن والسنة، وإن أُهملت هذه الميول الفطرية ولم تخضع لتربية معنوية فستغدو وسيلة للشر لا للخير، وسببًا للضرر لا للنفع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالإنسان من هذا المنظور مخلوق يحتاجُ إلى التربية والتعليم لا محالة.

ولقد أكرم الله تعالى البشر بأن أرسل إليهم أعظمَ المربِّين، الرسل والأنبياء عليهم السلام، لا سيما في الحقب التي ضاعت فيها الحقوق وغاص الناس في مستنقع الجاهلية، وقد ربَّى الأنبياء أتباعهم بهدي الوحي وأخرجوهم من ظلمات الجاهلية إلى أنوار الإيمان، وجعلوهم كالنجوم المتلألئة في سماء حضارة الفضائل التي شادوها.

المهام الثلاث للأنبياء

يقول الله تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]

فيلفت ربنا ﷻ انتباهنا إلى ثلاث مهام أساسية لرسول الله ﷺ، وهي:

١ . تلاوة آيات الله وتبليغ الدين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

٢. تزكية النفس وتطهير القلب.

٣. تعليم القرآن الكريم والحِكَم والأسرار التي أودعها الله تعالى في الكون والأحداث.

ولا يخفى على أحد أن دعوة النبي ﷺ أمتَه للإسلام والتوحيد بدأت بتبليغ ما يُوحى إليه، غير أن هذه المهمة كانت المرحلة الأولى في إيصال الناس إلى الهدف المنشود.

ولا يمكن الوصول إلى المقصود والغاية من دعوة التوحيد إلا بتخلية النفوس من الأدران المعنوية مثل الكفر والشرك والنفاق والرياء والكِبر والحسد؛ وتحليتها بالإخلاص والتقوى والخشوع والطمأنينة.

ويقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني رحمه الله تعالى في هذا الشأن:

«إذا ما أصاب ثوبَك شررٌ من التنور، فإنك تهرع لإطفائه! فكيف تأذن للنيران التي تحرق دينك مثل الكبر والحسد والرياء أن تفتك بقلبك!».[٣٩]

٣٩. الخرقاني، نور العلوم، ص٢٣٩.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالتزكية تصفية الأحاسيس بمصفاة الإيمان وجعلها صفحة بيضاء نقية.

وقد فسَّر حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما كلمة «التزكية» الواردة في الآيات الكريمة على أنها: «قول(لا إله إلا الله)».[٤٠]، فالخطوة الأولى في التزكية تطهير القلب من الكفر والشرك.

وكلمة التوحيد تبدأ بنفي الأغيار والآلهة التي تُعبَد من دون الله تعال من الأهواء والطبائع والشهوات وأوثان النفس كلها بقول :« لا إله»، ثم بعد النفي يأتي «الإثبات» لله تعالى وحده، فيغدو القلب موضعًا لنظر الله تعالى ويمتلئ بنور التوحيد بقول: «إلا الله».

وما أروع تعبير الشاعر عن هذه الحقيقة في قوله:

لاينجلي الحق في فـؤادك ما لم تُخرج من قلبك الأغيارْ.

فالسلطان لا يدخل قصره إلا بعد أن تبلـغ الدار غايـة الإعمارْ.

٤٠. القرطبي، الجامع، جـ٢٠، ص٢٢.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة «تعليم القرآن الكريم» الذي يبيِّن أوامر الله تعالى ونواهيه.

ولا يمكن للعبد أن يتفكر في القرآن ويتدبره إلا إن تطهر قلبه، فبالقلب الطاهر وحده تُتلى آيات الله وتُدرك معانيها.

يقول سيدنا عثمان رضي الله عنه:

«لو طهرت قلوبكم، لما شبعتم من كلام الله عز وجل».[٤١]

فلا بد في بادئ الأمر من أن يُصفَّى العقل من الأفكار الباطلة، ويتطهر القلب من المشاعر السيئة، ويتكون لدى المرء اعتقاد صحيح، ويتحلى بالأخلاق الفاضلة، وبعد قطع هذه المراحل كلها تتجلى «الحِكَم» للعبد فيبدأ بمعرفة أسرار الحوادث وبواطن الأمور.

علمٌ لا ينفع

من اللافت للانتباه أن الله تعالى ذَكَرَ «التزكية» و«تعليم الكتاب والحكمة» في الآيات نفسها، وهذا يعني أنه لا يمكن تحصيل العلم الحقيقي إلا بقلب

٤١. علي المتقي، جـ٢، ص٢٨٧/ ٤٠٢٢.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مُزكًّى، وإن صار لدى المرء علمٌ غير ذلك، فلن ينفعه في نجاته يوم القيامة.

لذلك كان النبي ﷺ يدعو قائلًا:

«**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها**».[٤٢]

فالإنسان حين يهمل قلبه -دون أن يترقى به في درجات الكمال- فإنه لن ينتفع بعلمه مهما بلغ، بل قد يغدو وبالًا عليه لا نعمة؛ فالطبيب مثلًا قد يصبح- بدل أن يعالج الناس- جزّارًا يتاجر بأعضائهم من أجل منفعة مادية، وقد يمسي رجل القانون- بدل أن يرسي أسس العدل- زعيمًا لعصابة أو مدافعًا عن الظلم وأهله، ورئيسُ الدولة قد يصير رمزًا للظلم والفساد، وعالمُ الدين قد يغدو رمزًا للشجع والنفاق.

فصاحب النفس الأسيرة للشهوات يجعل العلمَ أداةً لمنافع دنيئة، والظلم الذي لا يستطيع الجاهل أن يرتكبه بجهله، يرتكبه بسهولة حين يعرف حيل العلم وألاعيبه،

٤٢. مسلم، الذكر، ٧٣/ ٢٧٢٢.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقول مولانا جلال الدين الرومي في هذا الشأن:

«مَثَل تعليم سيء الأخلاق علمًا كمثل إعطاء الشقي سيفًا».

أي إن العلم للنفس المحرومة من التربية المعنوية يغدو حجاب غفلة يُبعدِ صاحبها عن ربه بدل أن يقترب بها منه.

لذا فإن التحصيل الحقيقي للعلم لا يعني مجرد تخزين المعلومات في الذهن، بل أن يتطهر به قلب المرء، وينضج وجدانه وأخلاقه، عندها سيكون العلمُ نعمة له في دنياه وعاقبة أمره ويبلغ به مراقي الكمال والسعادة الأبدية.

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى:

«ثمة كثير من العلماء ولكن لا عرفان عندهم، فقد حفظوا العلوم ولكنهم لم يكونوا من أولياء الله تعالى».

وينبغي أن لا ننسى أن العلوم كلها تسعى لاكتشاف القوانين التي أرساها الله تعالى في هذا الكون العظيم، غير أن العلم الحقيقي إنما هو ذلكم العلم الذي لا يقف عند معرفة تلك القوانين فحسب، بل يخطو خطوة إلى



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأمام ليتعرف إلى واضعها، صاحب القدرة المطلقة، ثم ينتقل إلى معرفة الحِكم والأسرار الكامنة وراءها.

ويوضح مولانا جلال الدين الرومي مراحل القلب بقوله: «لم أكن ناضجًا»، حينما كان في قمة العلم الظاهري دون أن يتذوق بعدُ لذة القرب من الله تعالى، ثم «صرتُ ناضجًا»، حينما بدت أسرار الكون وحِكَمه واضحة جليَّة أمامه، ثم «احترقتُ»، حينما بدأ بنيل تجليات معرفة الله تعالى، وصار في حال فناء في المحبة الإلهية.

والقلب إن لم يقبس من نور القرآن والسنة فلن ينفعه علم ولا عمل، وفي هذا يقول سيدنا علي ﵁:

«ظِلُّ الأغوى أعوج».

فجميع أحوال الإنسان وحركاته وسكناته إنما هي انعكاس باطنه على ظاهره، فمن العبث توقع سلوكٍ فاضلٍ من إنسانٍ رانَ على قلبه السوء، فمن ساءت نيته ساء مَسلكه، وكما يقول المثل المشهور: «كل إناء بما فيه ينضح».

والعكس صحيح، فإذا صدق العبد وحسنت سريرته تجلى الله تعالى عليه بألطافه ورحماته وبركاته، والقصة الآتية توضِّح خير توضيح هذه الحقيقة:

This file was downloaded from QuranicThought.com

بستان الرّمان...

خرج أنوشِروان- وكان مشهورا بعدلِه- إلى الصيد، ثم افترق عن أصحابه فدخل بستانًا من البساتين، ورأى فيه شابًّا فقال له:

«هلَّا أعطيتني رمَّانة؟» فأعطاه الشاب واحدةً.

فعصر أنوشروان الرمانة وروى عطشه، واستلذ بها، فحدَّثته نفسه بأن يأخذ هذا البستان غصبًا لطيب ثمره.

ثم طلب رمانة أخرى، غير أنها كانت جافة حامضة هذه المرة، وحينما سأل عن السبب، أجابه الشاب بفراسة:

«أيها السلطان، لعل قلبَكَ مال إلى أخذ البستان مني غصبًا».

فتخلى أنوشروان عن فكرة الاستيلاء على البستان، وتاب وندم على تلك النية السيئة، وعندما طلب رمانة أخرى وجدها حلوة المذاق، بل أطيب وألذ من الأولى.

فحارَ السلطان وسأل عن الحكمة في لذة تلك الرمانة، فقال الشاب:

«لعلكَ تُبتَ عن نيتك السيئة آنفًا».



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتشير الروايات إلى أن هذه الحادثة وأمثالها أثَّرت في نفس أنوشروان، فتخلص من نيَّاته السيئة، وتجرد من الظلم والعدوان كله، وصار يراعي الحقوق، حتى صار في عدله آية الآيات.

وأحسن أنوشروان إلى شَعبه كله، وأعطى كل ذي حقٍّ حقَّه، وعندما توفِّي سارُوا بتابوته في أرجاء مملكته، وصاح المنادي:

«من كان له حق عندنا فليتأتِ ويأخذه».

فلم يكن لأحد على أنوشروان حق ولو بدرهم.[٤٣]

نفهم من هذه القصة أن أصحاب القلوب الطاهرة يتركون دائمًا وراءهم ذكريات جميلة وأثرًا طيبًا، فأحوال الإنسان وحركاته إنما هي كالمرآة لقلبه، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الشريف:

«إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم».[٤٤]

٤٣. انظر: محمود سامي رمضان أوغلو، المصاحبة، جـ٦، ص٤٣-٤٤.
٤٤. مسلم، البر، ٣٣/ ٢٥٦٤؛ ابن ماجه، الزهد، ٩.



This file was downloaded from QuranicThought.com

أي إن الله تعالى ينظر إلى العبد ويعطيه على حسب نيته، فيجعل العاقبة خيرًا لكل من طهر قلبه وحسُنت نيته، ولا ننسى أن قدَرَ الله تعالى المعلَّق يتجلى على حسب النيات والأفكار.

وخير مثال لما ذكرناه هنا الحادثة الآتية:

محاسبة السلطان ألب أرسلان نفسَه

قبل أن يدخل ألب أرسلان معركة ملاذكرد عام ١٠٧١ م، لبس البياض وقال: «إن هذا كَفَني!»، فلم يستعد هذا القائد العظيم للشهرة بل للشهادة بإيمان خالص ونية صادقة، وألقى خطبته المؤثرة أمام جُنْده، وكان مما قال فيها:

«إني أقاتل محتسباً صابراً، فإن سَلِمتُ فنعمة من الله ﷻ، وإن كانت الشهادة فَلِي الجنة، من أراد اللحاق بي فليتبعني، ومن أراد الانصراف فلينصرف، ليس ها هنا سلطان يأمر وينهي، ولست إلا واحدًا منكم، أغزو معكم، من تَبعَني ولقى الله شهيدًا فهو في الجنة، ومن سَلِم فهو منتصر، ومن تخلف عن هذا الجهاد فله في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب عظيم».



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فوَفَّقه الله تعالى بإخلاصه للنصر على القائد رومانوس ديوجين الذي كان جيشه خمسة أضعاف جيش المسلمين.

فالصادقون المخلصون هم وحدهم الذين يصلون إلى الفلاح الحقيقي، غير أنهم دائمًا ما يخضعون لامتحان عظيم، فها هو ذا ألب أرسلان القائد العظيم في تاريخ الإسلام يُقتَل غيلةً فيكون ذلك امتحانًا له:

فبعد معركة ملاذكرد انطلق هذا السلطان سنة ١٠٧٢م ومعه كثير من الخيَّالة لفتح ما وراء النهر، فحاصر قلعة خانه على نهر أموديريا، وكان قائد القلعة يوسف الخوارزمي الذي كان ينتسب إلى الفرقة الباطنية الضالة، وعندما أدرك أن لا طاقة له في مقاومة الحصار استسلم، غير أن هذا الخائن حينما أوقفوه أمام ألب أرسلان هجم عليه وطعنه بخنجره، فقتل الجنودُ هذا الخائنَ، لكن السلطان لم ينجُ من تلك الضربة، ولقي ربه شهيدًا في ٢٥ تشرين الأول/ نوفمبر عام ١٠٧٢م، وكان مما قاله قبل وفاته:



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«عندما كنت أعزم على قتال الأعداء، كنت ألتجئ إلى الله تعالى وأطلب عونه، غير أنني حينما صعدت الجبل أمسِ، ورأيت كثرة جُنُدي وعِظَم جيشي، شعرت كأن الجبلَ يرتجف تحت قَدَمَي، ووقع في قلبي أنني سلطان العَالَم، فمن ذا الذي يجرؤ على هزيمتي بعد الآن!

لذلك عاقبني ربي بعبد عاجز، وهَأنذا أدفع ثمن غفلتي للحظة، وإني لأتوب إلى الله تعالى عما وقع في قلبي وعما ارتكبت من ذنوب ومعاص وأطلب العفو منه سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

لذلك لا مناص من تربية النفس وتطهير القلب ليكون مع الله تعالى كل حين، فالنفسانيات إن تسربت إلى نوايا القلوب، فلن ينظر الله سبحانه إلى تلك القلوب ولن يُنزِل رحماته وسكينته عليها.

وغاية التصوف إيصال القلب- الذي هو محل نظر الله تعالى- إلى درجةٍ يرضى الله تعالى عنه ويرعاه وينظر إليه برحمته، فبداية لا بد من تخليص النفس من أدواء الشهوات، وتطهير القلب من علائق الأهواء.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد جاء في مجلة الأحكام العدلية[٤٥]:

« دفع المفاسد أولى من جلب المنافع ».

أي إن التخلص من السيئات والخبائث والأوضار الخُلقية يأتي قبل كسب الأمور النافعة، فالإنسان يطهِّر الجرح من القيح ثم يضمِّده، فإن لم يُزَل القيحُ فلن يلتئم الجرح مهما كان الضماد حسنًا.

التخلِّي ثم التحلِّي ثم التجلِّي

يمكن أن نلخص طريق الكمال المعنوي في التصوف بجملة واحدة، ألا وهي:

«التخلِّي ثم التحلِّي ثم التجلِّي».

أي إن هذا الطريق:

٤٥. مجلة الأحكام العدلية: أول تقنين مدني وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك خلال عهد الدولة العثمانية حينما صدرت عن مجلس شورى الدولة العثمانية؛ لتطبق أحكامها إلزاميًّا في قضاء الدولة في الأقاليم الإسلامية كافة، حيث احتوت المجلة بين دفتيها مواد بلغت ١٨٥١ مادة قانونية تضمنت أحكامًا لمختلف المعاملات المدنية مثل البيع والإيجار والكفالة والوكالة وغيرها بشكل محكم نظم المسائل الفقهية المبددة والمتناثرة. [المترجم]



This file was downloaded from QuranicThought.com

- يبدأ بتخلية القلب من كل مايُبعده عن الله تعالى، وذلك بتطهيره من الأمراض المعنوية مثل: الشرك والكفر والنفاق والرياء والغرور والكِبر والعُجب والحسد.

- ثم بتحليته؛ أي تزيينه بالأخلاق والأعمال الصالحة التي تجلب محبة الله تعالى، وتأتي على رأس هذه الأعمال النوافل من العبادات والأخلاق الحسنة، مثل: الكرم والرحمة والرأفة والخدمة ورقة القلب واللطافة والظرافة والتضحية.

- ثم تأتي مرحلة التجليات المعنوية؛ أي السير نحو معرفة الله ومحبته بعد أن يرِقَّ القلب وينضج.

فالله ﷻ لا يهب الأسرار والحِكم التي تتجلى في قدرته وعظمته والمعروضة في القرآن والكون إلا للقلوب الطاهرة المطهرة، أي القلوب السليمة التي بلغت درجة الكمال.

لذلك تصل تلكم القلوب- بعد قطعها لهذه المراحل- إلى تجليات روحانية ببركة التوكل على الله تعالى والتسليم له.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾

عن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ:

«أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل، سأل بعضَ بني إسرائيل أن يُسْلِفَهُ ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجَّج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تَسلَّفْتُ فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلت: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشدًا».[٤٦]

فهكذا هو تجلي الله تعالى على صاحب القلب الطاهر المعتقد بالله اعتقادًا سليمًا لا تشوبه شائبة.

فحال من وصل إلى الكمال بالتربية الصوفية الحقيقية كحال من ذُكِر في هذا الحديث الشريف، لأن قلوب هؤلاء تكون دائمًا مع الله تعالى، منشغلةً بالأعمال التي تستمطر رضاه سبحانه وتعالى، لذلك يتكفَّل الله تعالى ببعض أعمالهم، ويقبل نياتهم الصادقة ويجعل البركة في مساعيهم.

فحين وضع الرجل المذكور في الحديث المالَ في الخشبة ورمى بها في البحر متوكلًا على الله تعالى، لم يكن عمله هذا منبعثًا من قلب سليم فحسب، بل ومن مراعاته لما تقتضيه الأسس الشرعية.

٤٦. البخاري، الكفالة ١، البيوع ١٠.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالشريعة إنما هي الذراع الثابتة للفرجار وأساس الأعمال كلها، والشريعة أساسُ السلوك والأحوال المرتبطة بمراحل الطريقة والحقيقة والمعرفة، والعلامة العظمى لأهل التصوف الحقيقي- مهما بلغت مرتبتهم المعنوية- إنما هي مراعاتهم الدقيقة لأسس الشريعة دائمًا، فذلك الرجل العارف حمل ألف دينار أخرى والتمس مركبًا آخر ليطبِّق ما أمرت به الشريعة.

المرشدون الكاملون

لقد جعل الله تعالى نبيه الكريم مثالًا للإنسان الكامل، فلا ريب أنه ﷺ مرشدنا ومعلِّمنا وهادينا.

وقد تكفل علماء الدين بإحدى مهام النبي الثلاث، ألا وهي: تلاوة الآيات وتبيين الحلال والحرام، وأما مهمة الإرشاد التي تقتضي تزكية النفوس وتطهير القلوب فتكفَّل بها المرشدون الكاملون إلى يومنا هذا.

ويقول المفسر إسماعيل حقِّي البورصوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿...**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**...﴾[٤٧]:

٤٧. المائدة: ٣٥.



This file was downloaded from QuranicThought.com

«واعلم أن الآية الكريمة صرَّحت بالأمر بابتغاء الوسيلة، ولا بد منها البتة، فإن الوصول إلى الله تعالى لا يحصل إلا بالوسيلة، وهي علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة».[48]

فالعَالِم الذي يكلف طالبَه بوظائف الطريق إنما هو وسيلة لتعليمه وتربيته، والمرشدون الكاملون يؤدون مهمة في الروحانيات والمعنويات تشبه مهمة الإرشاد التي يؤديها العلماء في العلوم الظاهرة.

فمن قلت بضاعته من الفقه والعلم الشرعي يجب عليه أن يصلح علمه الظاهر بمروره على يد علماء الدين الصالحين، ومن لديه نقص في الأمور الصوفية التي يمكن أن نقول عنها أنها «الفقه الباطن» يجب عليه أن يُطهِّر قلبه بأخذ العلم من المرشدين وحضور مجالسهم، فيرتقي عندئذ في درجات الروحانية بإصلاح عيوب القلب وأدوائه مثل الإخلاص والتقوى والخشوع والإحسان.

٤٨. البورصوي، روح البيان، جـ٤، ص٥٤٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأعظم ما يبتغيه الإنسان الوصالُ مع الله تعالى بالنجاح في امتحان الدنيا، وأولياء الله تعالى الذين يرشدون الناس ويعينونهم في ترقيهم المعنوي إنما هم من الوسائل العظمى التي وهبها الله تعالى، فهؤلاء لهم صلة مع الخلق والخالق، لذلك تراهم كالجسر الواصل بين الخلق وخالِقِهم.

وكان من أولئك الذين اهتدوا إلى الإسلام بوسيلة مولانا جلال الدين الرومي وكتابه «المثنوي» أستاذُنا في اللغة الفارسية المرحوم يامان دادا الذي كان نصرانيًّا، وكان حين يُسأل:

– لِمَ تُكثِر من ذِكر مولانا وكتابه «المثنوي»؟

يجيب رحمه الله تعالى على ذلك بقوله:

– يا أبنائي، إن مولانا جلال الدين هو من أمسك بيدي، وكان وسيلة لهدايتي بأن حملني إلى باب سيدنا محمد ﷺ، أفلا أُكثِر من ذِكر من أستنقذني به الله تعالى من النار!

فالمرشدون الحقيقيون إنما هم ورثة الأنبياء الذين يرشدون بإرشادهم ويعرضون لنا كمال السلوك كل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حين، وهم مثل «الإنسان الكامل» الذي يقتدي به كل من حُرِمَ من شرف رؤية النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وما إرشاداتهم وتعاليمهم ونصائحهم التي تحيي الأفئدة بقول ليِّنٍ إلا كنسمات تهب علينا من المنبع النبوي.

والخدمات التي يقدِّمها المرشدون الكاملون جزء من مهمة التزكية التي كُلِّف بها الأنبياء عليهم السلام، فالتصوف مدرسة معنوية لتربية النفس وتطهير القلب على يد المربِّين الحقيقيِّين ورثة الرسول المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، و«السير والسلوك» سعيٌ لبلوغ درجة الإنسان الكامل بالانتساب إلى مدرسة التربية المعنوية هذه.

المراعاة الدقيقة للسُّنة

إن من أعظم ميِّزات المرشد الكامل وعلاماته الفارقة صلتُه الفريدة برسول الله ﷺ والتفاني في اتباعه وطاعته، ومن أبرز سجاياه مراعاتُه الدقيقة لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتربيته لمحبيه بصدق وإخلاص.

فلا يمكن أن يكون الرجل مرشدًا كاملًا إن كان ثمة نقصٌ أو إهمالٌ في مراعاته للسنة.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والحادثة التالية خير توضيح لما ذكرناه:

قال الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى لأحد طلابه: «قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شَهَرَ نفسه بالولاية»، وكان رجلًا مقصودًا مشهورًا بالزهد، فمضوا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد، تنخم نخامة تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال:

«هذا غير مأمون على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه من الولاية».[٤٩]

وقد صار الصحابة الكرام بسلوكهم ومعاملاتهم أسوةً لمن جاء بعدهم في أمور الدين، فها هو أحد التابعين يسافر مسيرة شهر ليأخذ عن رجل حديثًا يرويه عن رسول الله ﷺ، فرآه يدني لفرسه كيسا يُوهِمه أن فيه شعيرًا، فرجع ولم يكلِّمه ولم يره أهلًا لرواية الحديث عنه.

وهاكم مثالًا آخرَ يبيِّن لنا الدقة في أمور الدين، إذ يقول التابعي أبو العالية رحمه الله تعالى:

٤٩. القشيري، الرسالة، ص٥٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

«كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها، جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها، قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ».[٥٠]

فلا بد إذن من النظر في اتباع الرجل للقرآن والسنة حينما نعتمد عليه في أمور الدين، فمنبع الفيوضات الروحانية في القلب إنما هو اتباع القرآن والسنة في مجالات الحياة كلها.

وما أعظم قول الإمام الرباني رحمه الله تعالى:

«ذات مرة دخلت الخلاء غافلاً بقدمي اليمنى، فحُرِمت سائر يومي من الروحانية».[٥١]

هذا الإمام الرباني طلب من أحد مريديه أن يحضر بعض زهور القرنفل من الحديقة، فجاءه المريد بست زهرات، فبدت علامات الحزن على الإمام، وقال:

«ما فتئ طلابنا غير مكترثين بحديث سيدنا محمد ﷺ الذي يقول فيه: **(إن الله وِتْر يحب الوِتر)**[٥٢]، فمن

٥٠. الدارمي، المقدمة، ٣٨/ ٤٢٩.
٥١. الكشمي، البركات الأحمدية، ص١٩٧.
٥٢. البخاري، الدعوات، ٦٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

المستحب أن نطبق هذا الحديث في أمورنا كلها، ماذا يفهم الناس من كلمة مستحب؟ المستحب هو الشيء الذي يحبه الله سبحانه وتعالى؛ أي إذا ما أُعطيَ المرءُ الدنيَا والآخرة كلها مقابل عملٍ يحبه الله تعالى، فلا قيمة لهذا العطاء مطلقًا».[٥٣]

ورأى التابعي الكبير سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه، فقال الرجل:

يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة؟

قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة.[٥٤]

وكان الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى يقيس كل حال من أحواله بمقياس السنة النبوية الشريفة، فهي كانت عنده كالقسطاس المستقيم، ومن أحسن ما بلغنا عنه أنه كان يقول:

٥٣. الكشمي، البركات الأحمدية، ص١٩٨؛ أبو الحسن الندوي، الإمام الرباني، ص١٨٠-١٨١.
٥٤. الدارمي، المقدمة، ٣٩/ ٤٤٢.



This file was downloaded from QuranicThought.com

«من ترك طلب العلم، وقراءة القرآن، والتقشف، ولزوم الطاعات، وحضور الجنائز، ثم ادعى هذا الشأن فهو مبتدع».[٥٥]

فإن كان المرشد أو المريد بعيدًا عن مثل هذه السنن والواجبات الفردية والاجتماعية، فليس له علاقة بالتصوف البتة.

ومن السنن العظيمة صلاة التهجد وإحياء الليل، فرسول الله ﷺ ما ترك التهجد سفرا ولا حضرا، حتى في أسفاره العصيبة الطويلة، فلذلك ترى أهل التصوف يُراعون هذه الصلاة وأوقات السَّحَر.

يقول الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى:

«لم يُفتَح لي شيء إلا بعد أن جعلت الليالي أيامًا».

ودليل آخر على مراعاته السنة الشريفة قوله:

«لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل الله تعالى هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ إياه، فلم أسأله».[٥٦]

٥٥. البيهقي، شعب الإيمان، جـ٣، ٣٠٥؛ ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٥١.
٥٦. القشيري، الرسالة، ص٥٧؛ المناوي، فيض القدير، جـ٦، ص١٠٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهذا يعني أنه لا يجوز لنا السير على خُطَا أولئك الذين تكون أحوالهم مخالفة لسنة رسول الله ﷺ تحت اسم **الزهد والتقوى**، فمثل هؤلاء يُظهِرون للناس بحياتهم المليئة بالمجاهدات والرياضات وكأنهم أكثر زهدًا وتمسكًا بالدين من رسول الله ﷺ- والعياذ بالله- وليس هذا إلا غفلة وضلال واجتراء عليه ﷺ.

يقول الله سبحانه وتعالى محذِّرًا من مثل هذه الأفعال التي تتعدَّ الحدود ولا أدب فيها مع رسول الله ﷺ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

وقد حذَّر رسولُ الله ﷺ أحدَ أصحابه حينما ذبح الأضحية قبل الصلاة، وأمره بذبح أخرى بعد الصلاة.[٥٧]

ولا ننسى أن نبينا ﷺ- وهو أحب العباد إلى الله تعالى- كان يوصي دوما بالاعتدال في كل شأن، وكان مثالًا حيًّا لنا في ذلك.

٥٧. انظر: ابن ماجه، الأضاحي، ١٢/ ٣١٥١- ٣١٥٤؛ أبو داود، الضحايا، ٥.



This file was downloaded from QuranicThought.com

والحادثة التالية تبيِّن ما ذكرناه:

وصف النبي ﷺ القيامة فرقَّ له الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح وهو الصوف، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفراش، ولا يأكلوا اللحم والودك- أي الدسم من السمن والدهن-، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسيحوا في الأرض.

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فتكلم مع الصحابة العشرة، ثم جمع الناس وخطب بهم فقال:

ما بال أقوام حرَّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا، إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانًا، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع،[58] وإن سياحة أمتي الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وحُجُّوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا

٥٨. وهذا ما يأمر به التصوف، أي أن يعيش المرء الوحدة في الكثرة، ويذكر الله في قلبه حتى لو كان بين الناس.



This file was downloaded from QuranicThought.com

رمضان، واستقيموا يُستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدَّدُوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فنزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة : ٨٧][٥٩]

فهذا يعني أنه لا خير في حياة لا تنضبط بالضوابط الشرعية التي بينها رسول الله ﷺ وأقامها نظاما للحياة البشرية، لا بل تجرُّ مثل هذه الحياة صاحبها إلى ضائقات روحاينة، مثل القلق والتوتر وانعدام التوازن والسخط والزلل في طرق غير مشروعة...

فأفضل طريق تلبيةُ الحاجات البشرية التي تقع ضمن دائرة الحلال تلبيةً توافق السنة، فليس من الدين تحريم ما أحله الله بدلائل تبدو صحيحة ابتغاء التقرب من الله تعالى وخدمة دينه.

ويجب أن لا ينسى المؤمن أبدًا أن رسول الله ﷺ أعظمُ هادٍ ومرشد، فيسعى للتعرف إليه أكثر، ويقيس

٥٩. انظر: الواحدي، ص٢٠٧-٢٠٨؛ علي القاري، مرقاة المفاتيح، جـ١، ص١٨٢-١٨٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

أحواله بأحواله ﷺ، وبعد ذلك كله سيجد يسرًا في معرفة من يتَّبع رسول الله ﷺ ومن لا يتَّبعه.

يقول المفسر إسماعيل حقِّي البورصوي في هذا الشأن:

فإذا اتبعت فاتَّبع سيد المرسلين محمدا ﷺ، الذي آدم ومن دونه من الأنبياء والأولياء تحت لوائه، فإذا اتبعت واحدًا من أمته فلا تتبعه لمجرد كونه رجلًا مشهورًا بين الناس مقبولًا عند الأمراء والسلاطين، بل كان الواجب عليك أن تعرف أولًا الحق ثم تزن الرجال به وفيه، قال باب العلم الرباني علي رضي الله عنه:

«من عرف الحق بالرجال حارَ في متاهات الضلال، بل اعرف الحق تعرف أهله».[60]

فلذلك يجب أن لا نقيم وزنًا لكل من لا يراعي القرآن والسنة في عيشه ولو كان الناس يشهدون بإرشاده، ونحذر من القرب منهم ولو صدَرَ عنهم أحوال تشبه الكشوفات والكرامات والفضائل، فهذه الأحوال ليست كرامة بل استدراج وحيل شيطانية.

٦٠. روح البيان، البورصوي، جـ٣، ص٢٥٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

ويذكر الشيخ عبد الخالق غجدواني رحمه الله تعالى أن المرء الذي يصل إلى مرتبة فناء النفس إنما هو من يأخذ القرآن الكريم بيد والسنة المطهرة بيد، ويسلك سبيل الهداية مستضيئا بنوريهما.[٦١]

وينصح أحد مريديه قائلًا:

«لا تنأَ عن العلم، وعليك بالفقه والحديث، وابتعد عن الجُهَّال من المتصوفة فأولئك يخرجونك عن طريق الدين... والزم السنة الشريفة، واتبع طريق الأئمة من السلف الصالح».

انظر عمَّن تأخذ دينك!

يقول رسول الله ﷺ في الحديث الشريف:

«يا ابن عمر دينُكَ دينُكَ، إنما هو لحمك ودمك، فانظر عمَّن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا».[٦٢]

فعلى المؤمن أولًا معرفة الحق والحقيقة من القرآن والسنة، ثم البحث عمن يرشده إرشادًا قائمًا على

٦١. عبد الرحمن الجامي، نفحات الأنس من حضرة القدس، ص٣٨٤.
٦٢. خطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص١٢١.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قسطاس القرآن والسنة والسير على نهجهما، ذلك أنه حتى المرشد الكامل الحقيقي لن ينفعَ من لا يتبع هذَين الأساسَين.

وما أجمل قول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى:

«القرآن الكريم حال الأنبياء وأوصافهم، إن تلوته وطبَّقت ما فيه فَهَبْ أنك ترى الأنبياء والأولياء! وإن تلوته ولم تطبق أوامره ولم تتخلق بأخلاقه، فما نفع رؤيتك للأنبياء والأولياء؟»

اللهم أكرمنا بالعيش على هدي القرآن والسنة، والسير على طريق أحبابك، واحشرنا يا رب في زمرة عبادك الصالحين.

آمين!..





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإطار المشروع في المحبة

سأل سائل سيدنا يعقوب عليه السلام:

«يا نبي الله، يا من رزقت نور القلب وحكمة العقل، كيف وجدت ريح يوسف في ثوبه الذي أتوك به من مصر، ولم تره حين أُلقي وحيدًا في البئر القريبة منك؟»

فقال سيدنا يعقوب عليه السلام:

«إن ما أكرمنا به الله تعالى في هذا الأمر كوميض البرق، فقد تظهر لنا الحقائق واضحة تارةً، وقد تغيب عنَّا تارةً أخرى».

أي إن الله عز وجل إن رفع الحجب للعبد فسيرى ما وراءها، وإن وضعها فلن يرى حتى الحفرة التي أمامه، فالعبد عاجز مهما بلغ مقامُه المعنوي، ومفتقر للطف الله تعالى كل حين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإطار المشروع في المحبة

إن المحبة زادُ المرء الذي يبتغي الترقي في مدارج التصوف، ومن مظاهر هذه المحبة مراعاة الآداب، والمحبة أساس الرابطة القلبية مع المرشد الكامل، غير أن تجاوز الحد في المحبة يجرُّ الـمُحِبَّ إلى الهلاك والضلال.

فليس من الصواب في الرابطة رفعُ درجة محبة الناس إلى درجة محبة رب الناس، فإسباغ صفة الألوهية على المرشد الكامل، وتقديسه، والإفراط في احترامه، وشدة الارتباط به، كل ذلك أمورٌ تؤدي إلى أحوال لا توافق الكتاب والسنة، وتضر بصاحبها بدل أن تنفعه، وقد تخرجه عن الصراط المستقيم.

ويجب أن لا ننسى أن عملَ المرشد في نظر المريد إنما الهدايةُ في الطريق ليس غير؛ أي إنه «وسيلة» لا غاية، أما تجاوز الحد في التعلق بالوسائل وجعلها «غايات» فإنه يفتح بابًا للشرك، ولا مجال للشرك البتة في عقيدة التوحيد.



This file was downloaded from QuranicThought.com

فنحن حينما نركب الطائرة فهي وسيلتنا، وغايتنا الوصول إلى وجهتنا بتلك الطائرة، ولا ضير في الاستفادة من الوسيلة بعد معرفة كُنهها ابتغاء الوصول إلى الغاية على الوجه الأمثل، وقد أمرنا الله تعالى بابتغاء الوسائل كي نصل إلى هدفنا؛ أي رضاه سبحانه وتعالى، فقال في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

[المائدة: ٣٥]

فيجب أن نحذر من أن نضيِّع الضوابط في محبة الوسيلة فنجعلها غاية.

وكل من يحيد عن الطريق الصحيح، وينجر إلى الغلو يصبح غرضًا لمعارضي التصوف، ويضر بالطريقة المنسوب إليها، وهذا هو الوبال الذي يُفضي به إلى سوء العاقبة.

وحال سيدنا أبي بكر الصديق ﵁ قدوةٌ لأهل التصوف، فقد كان أكثر الصحابة محبةً لرسول الله ﷺ، غير أن هذه المحبة كانت وسيلة للاعتدال والتأني والاستقامة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولقد أحزن خبرُ وفاة رسول الله ﷺ الصحابةَ الكرام جميعًا، وكان لهذا الخبر أثر عظيم في نفوسهم، فصاروا في حال من الحيرة والدهشة، إذ لم يستطيعوا بعد ذلك اليوم رؤية وجه رسول الله ﷺ الذي كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم، وكان ملجأهم ومأواهم، وكان بين الصحابة من لم يرد العيش في حياة لن ترى عيناه فيها النبيَّ ولن تسمع أُذناه أحاديثه ﷺ.

واجتمع الصحابة الكرام في مسجد النبي ﷺ وقد خيم الأسى على وجوههم، وفتك الحزن بقلوبهم، حتى إن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف ببصيرته وحكمته قال:

«ألا لا أسمعن أحدًا يقول إن محمدًا مات، فإن محمدًا لم يمت ولكنه أَرسَل إليه ربه كما أرسل إلى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة، من قال إن محمداً قد مات ضربت عنقه بسيفي».

وحينما سمع سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هذا الخبر السيء أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فاتجه إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رسول الله ﷺ وهو مسجى فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: «مات رسول الله، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، بأبي أنت! والله لا يجمع الله عليك موتَتين أبدًا، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متَّها... طبت حيًّا وطبت ميِّتًا»، ثم غطى وجه رسول الله ﷺ، وخرج إلى الناس في المسجد، وعمر رضي الله عنه يكلمهم فقال أبو بكر رضي الله عنه:

«اجلس يا عمر!»

فأبى عمر أن يجلس، فكلَّمه أبو بكر مرتين أو ثلاثًا، فلما أبى عمرُ رضي الله عنه أن يجلس قام أبو بكر رضي الله عنه فتشهد، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فلما قضى أبو بكر تشهده قال:

أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت! قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]



This file was downloaded from QuranicThought.com

فلما تلاها أبو بكر ﵁ أيقن الناس بموت النبي ﷺ، وتلقاها الناس من أبي بكر حين تلاها أو كثير منهم، وقال سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى والله ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات.[٦٣]

إن هذه الحادثة التي ذكرناها تبيِّن لنا تلك المحبة العظيمة التي كانت في قلب أبي بكر ﵁ للنبي ﷺ وتوقيره إياه، غير أن هذه المحبة لم تخرج يومًا عن صراطها، ولم تسلك بصاحبها مَسلكًا مخالفًا لما أمر به الله ورسوله، بل كانت وسيلة لإيقاظ التائهين وتنبيههم وإرشادهم.

الإفراط والتعصب...

من الأمثلة الواضحة للإفراط والتعصب والخروج عن الحد في المحبة والاحترام والارتباط قولُ بعض المريدين المجذوبين:

«إن أراد شيخي أمرًا فإن الله يعطيه إياه لا محالة...»

---

٦٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ٢، ص٢٦٦- ٢٧٢؛ البخاري، المغازي، ٨٣؛ الهيثمي، جـ٩، ص٣٢؛ عبد الرزاق، جـ٥، ص٤٣٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مع أن رسول الله ﷺ- وهو حبيب الله تعالى- لم تُستجب دعواته كلها في الدنيا، ففي الحديث الشريف يقول ﷺ:

«سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنَةِ[٦٤] فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».[٦٥]

أي إن ربنا ﷻ إن شاء قبل أدعية الأنبياء وإن شاء لم يقبلها، فالعبد- مهما بلغت مرتبته عند الله تعالى- محتاجٌ إلى ربه تعالى ليقبل أدعيته مثلما يقبل أعماله.

فإذا كان هذا هو المقياس الذي ينطبق على الأنبياء أنفسهم، فأولى أن ينطبق على بقية الناس، بما فيهم صفوة أولياء الله تعالى.

لذلك لا يمكن القول إن العبد المقرَّب من الله تعالى سيُقبل دعاؤه لا محالة، أو سيُشفى المريض الذي يقرأ عليه، فمثل هذه الأمور تعتمد على إخلاص الطرَفَين

٦٤. السَّنَة: الجدب والقحط.
٦٥. مسلم، الفتن، ٢٠/ ٢٨٩٠.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وصدقهما، وقبل ذلك وبعده على مشيئة الله تعالى وتقديره، ويجب أن لا ننسى أن قبول الأدعية قد لا يكون في الدنيا بل يؤجل إلى الآخرة كما أراد الله ﷻ.

وأمر آخر لا بد أن نشير إليه هنا، وهو أن الله تعالى قد أكرم أنبياءه وأولياءه بمعجزات وكرامات مختلفة، فالصفة البارزة في أحدهم قد لا نجدها بالمستوى نفسه عند غيره، فلا يمكن لنا النظر إليهم من منظور واحد في هذا الشأن، لأن مهمتهم الأساسية ليست عرض المعجزات والكرامات بل إحياء القلوب وإرشاد العباد.

والحادثة التالية توضِّح خير توضيح حقيقةَ أن جميع الكرامات والكشوفات منوطة بمشيئة الله تعالى وإرادته:

لقد كان رسول الله ﷺ يدعو عمه أبا طالب إلى الإسلام ويلح عليه في ذلك، إذ كان أبو طالب يحمي النبي والمسلمين، ويذبُّ عنهم، وكان جوابه لابن أخيه:

«إني لأعلم أنك على حق، غير أني إن آمنت بك، فستعيبني نساءُ قريش»، أي إنه كان يدرك الحقيقة في نفسه، لكنه لم يستطع الإقرار بها لعصبيته الجاهلية، فكان من قوله لرسول الله ﷺ:

This file was downloaded from QuranicThought.com

«أنا على ملة عبد المطلب، أما لو أنك سألتني الكلمة وأنا صحيح لتابعتك على الذي تقول، ولكني أكره أن أجزع عند الموت فترى قريش أني أخذتها جزعًا ورددتها في صحتي».[٦٦]

فقال رسول الله ﷺ:

«**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ**»[٦٧] ثم ترك بيت عمه حزينًا.

وبعد قول رسول الله ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك**» لحزنه على عمِّه، نزل قول الله تعالى:

﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص: ٥٦][٦٨]

أي إن دعوة الأنبياء وحدها لا تكفي للهداية، بل الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

---

٦٦. البخاري، الجنائز ٨١، مناقب الأنصار ٤٠؛ ابن سعد، جـ١، ص١٢٢– ١٢٣.

٦٧. حينما طلب المسلمون الاستغفار لآبائهم المشركين مقتدين باستغفار النبي لعمه، أنزل الله تعالى في سورة التوبة آيتَين تحرِّمان هذا الفعل. [انظر: الطبري، تفسير، جـ٢١، ص٣١]

٦٨. البخاري، تفسير القرآن، ٢٨/ ١؛ مسلم، الإيمان، ٣٩، ٤١–٤٢؛ أحمد، مسند، جـ٥، ص٤٣٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التوسل

إن من وسائل العبد لاستمطار رحمة الله تعالى توسله في دعائه بالمقرَّبين من الله تعالى من الأنبياء والصالحين، وهذا مظهرٌ من مظاهر التبرك التي يأمل العبد بها أن تتنزل الرحمات عليه.

غير أنه لا بد من أن يطلب العبد من الله تعالى لا ممن يتوسل بهم؛ فالفاعل المطلق إنما هو الله سبحانه وتعالى، ولا يكون في الكون شيء إلا بإذنه، ولذلك قيل: «التوفيق من الله تعالى».

و«همة» الصالحين أدعيتهم، وهؤلاء يدعون الله تعالى كي ييسر لهم كل عسير ويفرِّج عنهم كل ضائقة مادية ومعنوية.

وكل شيء في الكون منوط بإرادة الله تعالى وتقديره، وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]

وأما التوسل فهو طلب رضا الله ولطفه إكرامًا للمقرَّبين منه سبحانه وتعالى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إن الله ﷻ إذا أراد شيئًا، فإنما يقول له «كن» فيكون، وقد أودع ربنا ﷻ في بعضٍ من عباده القدرة على التصرف ببعض الحوادث بإذنه وإرادته سبحانه وتعالى.

ومثال ذلك أن الشفاء من الله تعالى، غير أنه سبحانه وتعالى جعل الطبيب والدواء وسيلتَين للشفاء، فلا بد من التوسل بهما، ولا يمكن أن نرى في ذهاب العبد إلى الطبيب نوعًا من الشرك، فكل مؤمن يعلم يقينًا أن الشفاء منه سبحانه وتعالى، وما الطبيب إلا وسيلة، والله تعالى هو أيضًا من خلق المواد الكيميائية في الدواء من أجل الشفاء وجعل الناس يكتشفونها.

وكان الصحابة الكرام يطلبون العون والشفاعة من رسول الله ﷺ، ويعرضون بين يديه أحوالهم مثل الفقر والمرض والدَّين، ويسارعون إليه إن وقعوا في مصيبة، وتشير كثير من الروايات إلى أن الصحابة حينما أصابهم القحط جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وطلبوا منه أن يدعوَ اللهَ تعالى ويستسقي لهم.

لقد كان الصحابة الكرام يعلمون حينما كانوا يلجؤون إلى رسول الله ﷺ أنه سببٌ وواسطة ليس غير،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأن الفاعل الحقيقي والقادر المطلق إنما هو الله تعالى وحده، فكانوا يتوسلون به أملًا أن يقبل الله دعاء نبيِّه لمحبته إياه ﷺ، ولا ريب أنهم ﷺ أجمعين أعلمُ منَّا في الفرق بين «التوحيد» و«الشرك».

أقبل مروان يومًا فوجد رجلًا واضعًا وجهه على القبر الشريف، فقال: «أتدري ما تصنع؟»، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال:

«نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله**)». [٦٩]

فمن الخطأ جعل التوسل شِركًا إن راعى العبد آدابه، فالشرك يكون حينما يعتقد المتوسِّل أن الأشياء التي يتوسل بها تنفعه وتضره دون الله تعالى، من أجل ذلك يجب على المتوسل أن يعلم أن الذي يتوسل به لا يجلب خيرًا ولا يدفع شرًا إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

٦٩. أحمد بن حنبل، جـ٥، ص٤٢٢؛ الحاكم، جـ٤، ص٥٦٠/ ٨٥٧١؛ الهيثمي، جـ٥، ص٢٤٥.



This file was downloaded from QuranicThought.com

زيارة القبور

يقول رسول الله ﷺ:

«أكثروا ذكر الموت فإنه يمحِّص الذنوب، ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم».[٧٠]

«لِتذكرِ الموتَ والبلى، ومنْ أراد الآخرة ترك زينة الدنيا».[٧١]

«من أكثر ذكر الموت أحبه الله».[٧٢]

«اكثروا ذكر هاذم اللذات»[٧٣]، أي الموت.

لذلك يُحيي أرباب التصوف قلوبهم بالتفكر في الموت كل آن، فالتفكر في الموت وسيلة لا مثيل لها في التخلية من النفسانيات والتحلية بالروحانيات، فتراهم بهذه المعنويات يحذرون من ارتكاب السيئات ويسعون إلى فعل الخيرات.

٧٠. السيوطي، الجامع الصغير، جـ١، ٤٧.
٧١. الترمذي، القيامة، ٢٤.
٧٢. الهيثمي، جـ١٠، ص٣٢٥.
٧٣. الترمذي، الزهد ٤.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد قيل لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«ما شأنك يا أبا حسن؟ جاورت المقبرة؟»

قال: «إني أجدهم جيران صدق، يَكُفُّونَ السيئة وَيُذَكِّرُونَ الآخرة».[٧٤]

ويوصينا أحد أولياء الله تعالى كي ننجو من الغفلة ونملأ حياتنا بالأعمال الصالحة، ونحيا حياة مليئة بالطمأنينة والحمد والشكر والرضا، فيقول:

«اذهب إلى المستشفيات بين الحين والآخر وعُد المرضى، وتفكر في نعمة صحتك وأنك لم تُبتلَ بالمرض مثل أولئك، واشكر الله تعالى على هذي النعمة!

واذهب إلى السجون بين الحين والآخر وتفكر في حياة أولئك المسجونين وأحوالهم السيئة! واعلم أن الجرائم كانت في لحظة غضب وجنون، وأن في السجون مظلومين كثرين في أسوء حال، فماذا أنت فاعل لو صرت مثلهم! واشكر الله تعالى أن حماك من مثل هذي الأحوال! وادعُ الله كي ينالوا السلامة!

٧٤. ابن أبي شيبة، مصنف، جـ٧، ص١٠٢/ ٣٤٥١٤.



This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم اذهب إلى القبور، وخذ العبرة من حجارتها التي تنطق بلسان حالها! واعلم أنه لا نفع من الندامة بعد أن تفقد نعمة الحياة! ولا تنس قيمة الوقت! وادعُ لمن ينام في القبور واستغفر لهم! واسْعَ بعد ذلك إلى أن تجعل أيامك مليئة بالحمد والشكر والذكر!»

ولعمْري إن زيارة القبور أفضل وسيلة تحمل الإنسان على أن يفكر في الموت والآخرة، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ:

«قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور... فزوروها فإنها تذكر الآخرة». [٧٥]

فقد كان النبي ﷺ في بداية نبوته ينهى عن زيارة القبور خشية عودة الشِرك كرَّةً أخرى، فالناس في الجاهلية كانوا يعتقدون أن أرواح أجدادهم مقدسة، ويدَّعون كثرة موتاهم ويزورون القبور افتخارًا بكثرة عدد أقوامهم، فَنَهى النبي ﷺ عن زيارة القبور في بداية الدعوة كي يستأصل كل أثر لعادات الجاهلية من النفوس.

٧٥. الترمذي، الجنائز، ٦٠؛ مسلم، الجنائز، ١٠٦.



This file was downloaded from QuranicThought.com

غير أنه بعد أن دخل الإيمانُ القلوبَ وتجذرت فيها عقيدة التوحيد، أذِنَ رسول الله ﷺ بزيارة القبور، لا بل حثَّ على ذلك، إذ لم يبقَ مجال لعبادة القبور وطلبِ المدد من الموتى وإسباغ صفة القدسية عليهم.

وعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت:

«كان رسول الله ﷺ- كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ- يخرج من آخر الليل إلى البقيع.[٧٦]

وقد جاءه جبريل عليه السلام ليلةً وقال:

«إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، فاستجاب النبي ﷺ له وزار جنة البقيع».[٧٧]

وعن عبد الله بن أبي فروة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ زار قبور الشهداء بأحد فقال:

«اللَّهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء، وأنه من زارهم وسلَّمَ عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه».[٧٨]

٧٦. انظر: مسلم، الجنائز، ١٠٢.

٧٧. مسلم، الجنائز، ١٠٣.

٧٨. الحاكم، جـ٣، ٣١/ ٤٣٢٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وكان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا:

«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا، إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية».[٧٩]

ويقول الإمام الشَّعبي رحمه الله تعالى، وهو من كبار التابعين:

«كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن».[٨٠]

فعلى المؤمن إذا زار القبر أن يسلم على أهل القبور أولا، ويدعو لهم، ويقرأ القرآن ما استطاع، ويتفكر في أنه سيكون يومًا مثلهم لا محالة، يقول حاتم الأصم رحمة الله عليه:

«مَن مرَّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم».[٨١]

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال:

٧٩. مسلم، الجنائز، ١٠٤.
٨٠. أبو بكر بن الخلَّال، القراءة عند القبور، ص٨٩، رقم: ٧.
٨١. إحياء علوم الدين، جـ٤، ص ٨٦٨.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«كان يقال: الأموات أحوج إلى الدعاء من الأحياء إلى الطعام والشراب».[٨٢]

وقد رأى العلماء مشروعية قراءة القرآن الكريم على القبور، فها هو الإمام النووي رحمه الله تعالى يقول في (شرح المهذب):

«يُستحَب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم».[٨٣]

«قال القرطبي: وقد قيل إن للقارىء ثواب القراءة، وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة... ولا يبعد في كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معًا، ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من القراءة وإن لم يسمع كالصدقة والدعاء، وفي (فتاوي قاضي خان) من الحنفية من قرأ القرآن عند القبور، فإن نوى بذلك أن يؤنسهم صوتُ القرآن فإنه يقرأ، وإن لم يقصد ذلك فالله يسمع القراءة حيث كانت».[٨٤]

٨٢. السيوطي، شرح الصدور، ص٢٩٧.
٨٣. السيوطي، شرح الصدور، ص٣٠٣.
٨٤. السيوطي، شرح الصدور، ص٣٠٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أي إن المرء يستطيع القراءة حيث شاء ويهدي ثوابها، غير أنه إن قرأ بجانب القبر فسينال الميت ثوابَ الاستماع إلى القرآن الكريم، وسينعم بالرحمةَ والسكينةَ التي تتنزل آنذاك.

وقد أجمع[٨٥] العلماء على أن قراءة القرآن أثناء زيارة القبور أمرٌ يُطبَّق منذ ١٤٠٠ سنة، ولا يخفى على أحد قراءة سورة يس كي يستفيد الموتى من الرحمة الإلهية التي تتنزل عند القراءة.

وقد ورد في الحديث الشريف:

«**يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم**».[٨٦]

ويمكن قراءة سور وآيات أخرى على القبور، وثمة رويات كثيرة في ذلك:

٨٥. الإجماع: ثمة أربعة مصادر في الفقه الإسلامي: القرآن، والسنة، وقياس الفقهاء، وإجماع الأمة؛ أي اتفاق المسلمين كافة على مسألة لا سيما العلماء المطلعين عليها.

٨٦. أحمد، جـ٥، ص٢٦.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره، وليُقرَأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة البقرة في قبره».[٨٧]

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«يستحب أن يُقرَأ عنده شيء من القرآن، وإن ختموا القرآن عنده كان حسنًا».[٨٨]

فنخلص إلى أنه من وسائل تنزُّل الرحمة على الموتى: زيارةُ القبور، والسلام عليهم، والدعاء والاستغفار والصدقة لهم، وتلاوة القرآن الكريم.

إن زيارة القبور وسيلة للخير العظيم إن كانت على حسب الآداب الإسلامية، فتفكُّر المرء في الموت يكسر شهوة النفس، ويرقق القلب، ويحذر من الغفلة في هذه الدنيا، فالقبور مرآة يرى فيها كل إنسان مستقبله، فإن استطاع أن ينظر إلى هذه المرآة كثيرًا ويعتبر بها، فسينجو من إضاعة عمره وراء شهوات النفس وغوائلها؛ فزيارة القبور خير وسيلة للإعداد للموت والآخرة.

٨٧. الطبراني، المعجم الكبير، جـ١٢، ٣٤٠؛ الديلمي، جـ١، ٢٨٤؛ الهيثمي، جـ٣، ص٤٤.

٨٨. النووي، رياض الصالحين، ص٢٩٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

لذلك كان العثمانيون يجعلون القبور أمام المساجد وداخل المدن، كي يقرأ المارُّون بها الفاتحةَ على أرواح الموتى، ويَرون فيها ما ينتظرهم فيتفكرون في الموت.

ولا بد من أن نحذِّرَ هَهنا من بعض الأفعال الخاطئة التي يفعلها العامة عند قبول الصالحين، مثل إشعال شمعة عند رأس القبر، وربط خرقة، وطلب المدد من الميت.

واعلم أنه لا يجوز طلب شيء من الميت مهما عظمت درجته في حياته، بل لا بد من الالتجاء إلى الله تعالى، والطلب منه بالتوسل بدرجة ذلك العبد وشأنه عند الله ﷻ.

فالله تعالى هو المرجع الوحيد والفاعل المطلق الذي يلجأ إليه الخلق جميعا، فلا خير يُعمل ولا شرَّ يُدفَع إلا بمشيئته، لذلك فإنَّ الطلب من الصالحين بكلام ينبع من جهل أثناء زيارة قبورهم أو غيرها مثل: «يا كذا، اشفِني، واقضِ حاجتي» إنما هو جُرمٌ عظيم يفتح بابًا للشرك، فلا بد من الحذر أشدَّ الحذر من هذه العبارات وأمثالها مما قد يفسد عقيدة التوحيد التي هي عماد هذا الدين.

ولا بد من الحذر أيضًا من كل قول يعطي انطباعًا بأنه ثمة أحد غير الله ﷻ يتصرف في الكون أو يديره.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فمهمة كل مؤمن تحذير غيره من أي سلوك قد يفضي إلى الشرك لغفلة أو جهالة، وأما التفريط في هذا الشأن فهو المبالغةُ في النهي عن الزيارة والاستشفاع، وعدُّ ذلك كله شِركًا مهما التزم الزائر بالآداب والسُنن.

والوسطية منهاج ديننا الحنيف في مسألة زيارة القبور كسائر المسائل، والأفعال والأقوال التي صدرت عن رسول الله ﷺ وأصحابه خيرُ مثال لنا كي ننجو من الإفراط والتفريط.

إن لم يُعلِمكَ الله تعالى

حينما يغلو المريد في محبة المرشد قد ترد عليه أفكار خاطئة، كأن يقول: «إن مرشدي يعلم كل شيء». ولا ريب أن قوله هذا قد يوقعه في ضلال.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في هذا الأمر- وكل أمر-، فقد كان عليه الصلاة والسلام حين يُسأَل عن شيء لا يعلمه يقول:

«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».[٨٩]

٨٩. انظر: مسلم، الإيمان، ١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول الشيخ سعدي رحمه الله تعالى في كتابه (غولستان):

سأل سائل سيدَنا يعقوب ﵇:

«يا نبي الله، يا من رزقت نور القلب وحكمة العقل، كيف وجدت ريح يوسف في ثوبه الذي أتوك به من مصر، ولم تره حين أُلقي وحيدًا في البئر القريبة منك؟»

فقال سيدنا يعقوب ﵇:

«إن ما أكرمنا به الله تعالى في هذا الأمر كوميض البرق، فقد تظهر لنا الحقائق واضحة تارةً، وقد تغيب عنَّا تارةً أخرى».

أي إن الله ﷿ إن رفع الحجب للعبد فسيرى ما وراءها، وإن وضعها فلن يرى حتى الحفرة التي أمامه، فالعبد عاجز مهما بلغ مقامه المعنوي، ومفتقر للطف الله تعالى كل حين.

لا عبدَ دون عيوب

قد يقول أحد المريدين لإفراطه في حب مرشده: «إن مرشدي لا يخطئ أبدًا». وهذا قول خاطئ أيضًا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وتشير كثير من الروايات إلى عِظم القواعد التي وضعها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه- الذي هو خير الناس بعد الأنبياء- في خطبته الأولى التي تلت اختياره خليفة للمسلمين، وكانت خطبته تلك قدوةً لأمراء المؤمنين وأهل الطرق إلى قيام الساعة، وقد قال فيها:

«أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم وليست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني...

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».[٩٠]

فإن كان خير الناس بعد الأنبياء يقول هكذا، فعلى كل من يقتدي به أن ينظر ما يقول.

وكان المرشد الكبير مظهر جان جانان رحمه الله تعالى يراعي بدقة السنةَ الشريفة في كل أمر، وكان يقول مبيِّنًا تواضعه:

«إن رأيتم مني شيئًا لا يوافق أحكام الإسلام، فنبِّهوني».[٩١]

٩٠. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٦٩، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣، ص١٨٢ - ١٨٣.

٩١. عبد الله دهلوي، المقامات المظهرية، ص٤٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أيها الإنسان لا تغتر!

ومن الأقوال الخاطئة التي تصدر عن بعض المريدين:

«إن المرشد سيشفع لأربعين امرئ ولو كانوا أكثر أهل الطريقة ذنبًا، ومن يتمسك بحبل مرشده في الآخرة فسيدخل الجنة دون سؤال»

وهذه العبارة وأمثالها تخالف أسس الشريعة الإسلامية وليس لها أي أصل أو سند، بل هي محض هذيان وخروج عن الطريق الحق.

لكننا بداية نقول إن الشفاعة حق، فربنا سبحانه وتعالى يشفِّع من يشاء من عباده، غير أن الله تعالى وحده العليم بمن سيشفع لمن، وهو القائل في آية الكرسي:

﴿...مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقد نبَّه رسول الله ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها، فقال:

«يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا».[٩٢]

٩٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٢، ص٢٥٦؛ البخاري، المناقب، ١٣-١٤؛ مسلم، الإيمان، ٣٤٨- ٣٥٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فليس هناك نص شرعي يفيد أن المرء سينجو يوم القيامة بما يشعره من محبة تجاه عباد الله الصالحين واحترام لهم وانتساب وحسن ظن بهم فحسب، بل لا بد من أن يُشفع المحبة بالعمل.

ومن أكثر الأمور التي يخشاها أولياء الله أن يُحاسَبوا على إفراط الناس في مدحهم والثناء عليهم، لهذا كان سيدنا أبو بكر الصديق ﵁ إذا مُدِحَ قال:

«اللَّهم أنت أعلم مني بنفسي، وأعلم بنفسي منهم، اللَّهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون».[٩٣]

ولهذا أوصى الشيخ خالد البغدادي أن لا يُكتب أي ثناءٍ على قبره، فأهل التصوف الحقيقي إنما هم المؤمنون الذين ترتجف قلوبهم خشية من مثل هذه الأمور.

ويجب أن لا ننسى أبدًا أن النصارى قد حرَّفوا عقيدة التوحيد، وجعلوا لله تعالى شريكًا بتقديسهم سيدنا عيسى ﵇، وجعله ابنًا لله تعالى، وقد حذَّر رسول الله ﷺ أمتَه من مثل هذا الإفراط في التقديس، فقال:

٩٣. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٠٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».[٩٤]

«يا أيها الناس، لا ترفعوني فوق قدري، فإن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًّا».[٩٥]

لقد كان رسول الله ﷺ يرى في العبودية لله تعالى أسمى الدرجات، والحديث التالي يبيِّن هذه الحقيقية خير تبيين:

جلس جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا مَلَك ينزل، فقال جبريل عليه السلام: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك: أفمَلِكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل عليه السلام: تواضع لربك يا محمد، فقال ﷺ: **«بل عبدًا رسولا»**.[٩٦]

فكانت «العبودية لله تعالى» أشرف منزلة يصل إليها الإنسان، ونحن إذ ننطق بكلمة التوحيد ننسب أولًا صفة

٩٤. البخاري، الأنبياء، ٤٨.

٩٥. الحاكم، جـ٣، ص١٩٧/ ٤٨٢٥؛ الهيثمي، جـ٩، ص٢١.

٩٦. أحمد، جـ٢، ص٢٣١؛ الهيثمي، جـ٩، ص١٨، ٢٠.



This file was downloaded from QuranicThought.com

العبودية للنبي ﷺ قبل الرسالة فنقول: «محمدًا عبده ورسوله»، أي إن السبيل لنيل رضا الله تعالى لا بد أن يمرَّ من قنطرة العبودية لله تعالى في كل حال من أحوالنا في الدنيا.

ويجب أن لا ننسى أن كل عبد ما خلا الأنبياء عاجزٌ وناقص، وحتى الأنبياء أنفسهم قد يقعون في «زلَّات» لطبيعتهم البشرية، غير أنهم يُوجَّهون إلى الطريق الصحيح لأنهم يتلقون المدد الإلهي، ومن حِكَم هذه الزلات تذكيرُ الأنبياء بطبيعتهم البشرية، وتحذير الناس من الإفراط في إعلاء شأن الأنبياء وإيصالهم إلى درجة الألوهية.

وإن كنَّا لا نجد بدًّا من إظهار المحبة والاحترام والتبجيل لكبار أهل التصوف والروحانية، لكن علينا في الوقت نفسه مراعاة الحدود الشرعية في تعظيمهم، وإلا فإن الـمُفرِطين في هذا الأمر يضرون بتقواهم وبصفاء الطريق المنتسبين إليه.

والتصوف ليس بمنأى عمَّن يطمع في استغلاله، فقد يقول قائل: «أنا قطب هذا الزمان، وغوثه»، ولا يكون



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله هذا إلا لعلة فيه أو عُجب أو انخداع بإفراط أتباعه في تقديسه، وهذه الأقوال وأمثالها بعيدة أشد البعد عن روح التصوف الحقيقي، وليست إلا بحثًا عن الشهرة والعظمة.

يقول سيدنا عثمان بن عفان ﵁:

«علامة التَّقي أن يرى الناس في النجاة ونفسه هالكًا».

ولا ننسى أننا لم نأتِ إلى هذه الدنيا كي يُثني بعضنا على بعض، بل لندرك جميعًا عجزنا وفناءنا فنعبد الله تعالى حق العبادة، وأعظم درجة نبلغها في هذا العالم الفاني أن نكون عبادًا لله تعالى، فكلنا عاجزون أمامه بحسناتنا وسيئاتنا، وإننا لنسعى بكل ما أوتينا من قوة في سبيل رضاه سبحانه، ثم نلجأ إلى رحمته وعفوه ومغفرته، كي نفلح في الآخرة.

التصوف: جعل القلب بين الخوف والرجاء

من الحوادث التي وقعت في حياة رسول الله ﷺ الحادثة التالية التي نتعلم منها درسًا مهمًا في حياتنا:

حين توفِّي الصحابي عثمان بن مظعون- وكان مشهورًا بزهده وعبادته- قالت أم العلاء ﵂: «رحمة الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله»، فقال رسول الله ﷺ: «**وما يدريكِ؟**» قلت:«لا أدري والله»، قال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله، والله ما أدري– وأنا رسول الله– ما يُفعل بي ولا بكم**»، قالت أم العلاء رضي الله عنها: «فوالله لا أُزكِّي أحدًا بعده».[97]

فلا أحد– سوى الأنبياء والمبشَّرين– يضمن خروجه من هذه الدنيا بإيمانه، فقد ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ذكرُ من حلَّ عليه غضب الله تعالى وكان على بُعدِ ذراع من الجنة، ومن تنزَّلت عليه رحمات الله تعالى وكان على بُعد ذراع من النار.

ويجب علينا أن لا ننسى البتة حالَ بلعام بن باعوراء[98] الذي صار في أسفل سافلين إذ جرى وراء نفسه وأهوائها بعد أن بلغ ما بلغ من مرتبة ومقام رفيع.

وقارون إذ كان زاهدًا تقيًّا أكرمه الله تعالى من فضله، وكان خير من يقرأ التوراة ويفسرها، غير أن الخزائن والكنوز العظيمة التي امتحنه الله تعالى بها أبعدته عن

٩٧. البخاري، التعبير، ٢٧/ ٧٠١٨.
٩٨. انظر: الأعراف: ١٧٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ربه بدل أن تقرِّبه، وعندما أخبره موسى عليه السلام بزكاة ماله، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[99]، ورفض أمر موسى عليه السلام، وأغرته تلك الأموال فتجرَّأ على الافتراء على نبي الله موسى عليه السلام، فكانت النتيجة أن خسف الله تعالى به وبماله الأرض، وصار في الدرك الأسفل.

ويقول الشيخ خالد البغدادي:

«والخاتمة مجهولة، فكم من فاسق فاجر صار من كُمَّل الأولياء، وكم من صالح ورع رُدَّ إلى أسفل السافلين».[100]

فلا يجوز استحقار عباد الله، ولا الإطراء عليهم وكأنهم سيكونون من أهل الجنة يقينا.

وعلى سالك طريق أهل التصوف أن يعلم أنه لا فتور فيه ولا تراخ، فلا يقول: « قد وصلت إلى الكمال»، أو يتوهم أنه قد بلغ الدرجات العليا؛ بل الأساس في هذا الطريق أن يرى العيب والقصور في نفسه دائمًا، ويعمل ويَجِدَّ في سعيه.

---

٩٩. انظر: القصص: ٧٦- ٨٢.

١٠٠. أسعد صاحب، بغية الواجد، ص١٢٠- ١٢١، رقم: ١٦.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وما أجمل قول الشاعر:

ليس للإنسان ميزان خير من الإنصاف

وعِلمُه بعجزه وضعفه خير الأوصاف

ويقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني:

«يفتخر المرء بعلمه إلى أن يعرف أنه لا يعلم شيئًا، وحينما يعلم أن لا علم عنده يستحي مما يعلم، وعندئذ يبلغ كمال المعرفة، فالعلم الحقيقي معرفة أنه لا يعلم».

وقد كان الأنبياء عليهم السلام، الذين قد تكفل الله بدنياهم وآخرتهم، يلجؤون إلى رحمة الله تعالى، ويكونون بين «الخوف والرجاء» على كل حال.

فها هو خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يبتهل إلى الله تعالى بعد أن اُمتحِن بماله ونفسه وأولاده، فيقول:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]

وها هو حبيب الرحمن سيدنا محمد ﷺ وقد غفر الله عز وجل له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقوم الليل حتى تتورم قدماه الشريفتان، ويستغفر ربه، وعندما سُئل عن ذلك فقال:

«**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**».[١٠١]

١٠١. ابن حبان، جـ٢، ٣٨٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولم تهن عزيمة الصحابة العشرة المبشرين بالجنة في عبوديتهم لله تعالى، وما أصابهم غرور أو فتور؛ بل كانوا قدوة في العبودية، فعملوا وسعوا دون ضعف أو استكانة.

والحادثة التالية توضِّح لنا أحوال الصحابة ﵃ خير توضيح:

فقد خطَّ رسول الله ﷺ الخندقَ في غزوة الأحزاب حتى بلغ المذاحج، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي ﵁، وكان رجلًا قويًا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا، بل سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ:

«**سلمان منا أهل البيت**».[١٠٢]

ومع أن النبي ﷺ قد أثنى على سلمان ﵁، غير أنه عاش حياته متواضعًا يخشى الآخرة ويرجو رحمة ربه.

وقد جاء الأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي إلى سلمان الفارسي، فدخلا عليه في حصن في ناحية المدائن، فأتياه، فسلَّما عليه وحيَّياه، ثم قالا:

١٠٢. الحاكم، جـ٣، ص٦٩١/ ٦٥٤١؛ الهيثمي، جـ٤، ص١٣٠؛ ابن هشام، جـ٣، ص٢٤١؛ ابن سعد، جـ٤، ص٨٣.



This file was downloaded from QuranicThought.com

أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم، قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري، فارتابا وقالا: لعله ليس الذي نريد، قال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، إني قد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، فإنما صاحبه من دخل معه الجنة.[١٠٣]

فحال سيدنا سلمان رضي الله عنه قدوة لنا في التواضع، فمع ثناء النبي ﷺ عليه لم ير هذا الصحابي الكريم نفسه ناجيًا، وظل قلبه مشفقا من عاقبة أمره.

ومثال آخر يبين لنا أحوال الصحابة سيدُنا خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ.

فلقد زيَّن هذا الصحابي الجليل تاريخ الإسلام بفتوحاته، ويوم مؤتة انكسرت في يده تسعة أسياف، وأخاف بجيش الإسلام المكون من ٣ آلاف مسلم جيشَ الأعداء الذي فاق عدده المئة ألف، وسطَّر الملاحم في معركة اليرموك، وفتوح الشام، ووصفه نبي الله ﷺ بأنه «**سيف الله المسلول**»، وفي السنة ٢١ للهجرة مرِض في حِمص في سوريا، وكان أصحابه بجانبه في مرضه،

١٠٣. الهيثمي، جـ٨، ص٤٠- ٤١؛ الذهبي، السيرة، جـ١، ص٥٤٩.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فطلب منهم أن يحضروا سيفه، فمسح على مقبضه، ثم قال محاسبًا نفسه:

«لقد شهدت مئة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء! وما لي من عملٍ أرجى من لا إله إلا الله وأنا متترِّس بها، والسماء تهلني تمطر إلى الصبح حتى نغير على الكفار، [ثم قال]: إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله تعالى».[١٠٤]

لقد مات سيدنا خالد بن الوليد ﵁ (سيف الله المسلول) على فراشه، ونطق بالشهادتَين وفي قلبه شوق إلى الاستشهاد في ساحات الوغى.

فلم يكن الصحابة الكرام صحابةً بالاسم والقول فحسب بل صحابة بالفعل، إذ كانوا يطيعون رسول الله ﷺ في أحوالهم كلها، ولم يكن أحدهم يأمن على نفسه مما قد يصيبه مع أن كل واحد منهم كانت حياته مليئة بالأعمال الصالحة؛ فعلى المؤمنين أن يتخذوا هؤلاء الصحابة قدوة لهم في حياتهم.

١٠٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٢٣٢.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والحق أنه سيأتي يوم على المرء يُحاسَب فيه ويقف بين يدَي ربه، لذلك يجب عليه أن يحيا في الدنيا عبدًا لله تعالى مدركًا عجزه وتقصيره، وعلينا أن نسعى كي نحيا حياتنا على منهاج الكتاب والسنة حتى خروج أنفاسنا الأخيرة، لأننا لا نعرف ما ستكون حالنا عند موتنا، وعلينا أن ندعو الله دائمًا بدعوة يوسف عليه السلام إذ قال:

﴿...تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]

ولا ننسى أننا لا نستطيع معرفة عاقبتنا وعاقبة غيرنا مهما بلغت درجتنا، بل إننا نحتاج إلى رحمة ربنا سبحانه وتعالى ومغفرته وعنايته.

فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيَّه وأمته من بعده بـ:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها بكرمك ولطفك يا ذا الجود والإحسان.

آمين!..





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قطوف

من رياض الحكمة

يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم».



لا يجد الغافل الحِكَم التي فقدها إلا إن مرَّ على أهل العرفان.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول رسول الله ﷺ:

«إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه».[١٠٥]



«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».[١٠٦]



١٠٥. ابن ماجه، المقدمة، ١٩/ ٢٣٧؛ البيهقي، شعب الإيمان، جـ١، ص٤٥٥.
١٠٦. مسلم، المسافرين، ٢٦٦، ٢٦٧/ ٨١٥.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».[١٠٧]



كان رسول الله ﷺ يدعو بعد فراغه من صلاته في الليل:

«اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء...».[١٠٨]

يقول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

«أربعٌ مَنْ كنَّ فيه كان من خيار عباد الله: مَنْ فرح بالتائب، واستغفر للمذنب، ودعا المدبر، وأعان المحسن».



١٠٧. مسلم، الذكر، ٧٣/ ٢٧٢٢.
١٠٨. الترمذي، الدعوات، ٣٠/ ٣٤١٩.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«فِرَّ من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت توهب لك الحياة».



«اعلم أن الله لا يقبل عمل النهار بالليل ولا عمل الليل بالنهار».



«اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم لقائك».

يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«أحبُّ الناس إليَّ مَنْ رفع إليَّ عيوبي».



سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فسأله: أسافرت معه؟ قال: لا، قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا، قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه.





This file was downloaded from QuranicThought.com

«عليكم إصلاحَ أنفسكم قبل إصلاح غيركم».

«أكثر الناس جهلاً مَنْ باع آخرته بدنيا غيره».

يقول سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

«المؤمن في ستة أنواع من الخوف: أحدها من قِبَل الله تعالى أن يسلبه الإيمان، والثاني من قِبَل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يُفتضح به يوم القيامة، والثالث من قِبَل الشيطان أن يبطل عمله، والرابع من قِبَل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة، والخامس من قِبَل الدنيا أن يغترَّ بها فتشغله عن الآخرة، والسادس من قِبَل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى».



«أربع ظاهرهن فضيلة وباطنهن فريضة: مخالطة الصالحين فضيلة والاقتداء بهم فريضة، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة، والزيارة للقبور فضيلة والاستعداد لها فريضة، وعيادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية منه فريضة».[١٠٩]

١٠٩. ابن حجر، المنبهات، ص١٤.



This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«أصعب الأعمال أربع خصال: العفو عند الغضب، والجود في العسرة، والعفة في الخلوة، وقولُ الحق لـمَنْ يخافه أو يرجوه».



«ما أدري أي النعمتين أعظم عليَّ منَّة من ربي، رجلٌ بذل مصاص[110] وجهه إليَّ فرآني موضعًا لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسَّرها على يدي، ولأن أقضي لامرئ مسلم حاجة أحب إلي من ملء الأرض ذهبًا وفضة».[111]



«ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».



١١٠. مصاص: المصاص: خالص كل شيء.
١١١. علي المتقي، كنز العمال، جـ٦، ص٥٩٨/ ١٧٠٤٩.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«أحيِ قلبك بالموعظة، وأمته بالزَّهادة، وقوِّه باليقين، ونوِّره بالحكمة».

يقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى:

«الصوفي هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله، وينظر بإِحدى عينيه إِلى الجنة، وبالأخرى إِلى النار، ويأتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلبي من بينهما للمولى: لبيك اللهم لبيك».



«لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدوه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة».[وإلا فإن حاله ليست كرامة بل استدراج].

يقول أبو الحسن الخرقاني رحمه الله تعالى:

«لقد أتى الله جل جلاله بكم إلى هذه الدنيا أنقياء، فلا تذهبوا إليه وفيكم الأدران!».





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«إن أي أخ لي في الدين من الشام إلى تركستان إذا ما دخلت إصبعه شوكةٌ، فكأنما دخلت إصبعي؛ وإذا أُصيبت قدمه بحجر، فستؤلم قدمي؛ وإن كان ألم حزن بقلب ما، فذاك القلب قلبي».



«ما أكرم الله تعالى عبده بشيء بعد الإيمان أفضل من قلب طاهر ولسان مستقيم».



«إنَّ الشيطانَ نفسه لا يمكن أن يسبب الفتنة في الدين مثلما يسببه رجُلَان:

- العالم الحريص على الدنيا،
- والمتنسِّك المحروم من العلم».

يقول يوسف الهمداني رحمه الله تعالى:

«إن من لا يسلك سبيل الدين والشريعة فقد اتبع الشيطان ولو أظهر ألف كرامة في اليوم، ومن يعتقد بشيء مخالف للسنة فإن كل مساعيه ليست إلا نَصَبًا ولو حفظ علوم الدنيا كلها».



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقول الله تعالى في ذلك:

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]

يقول محمد عارف ريوكري رحمه الله تعالى:

«إن بداية الطريقة وسعادتها ومفتاحها إنما هي في الالتجاءِ إلى الله بتوبة وخشوع، والتوبة أعظم أوراد المؤمن».



«العارف من يهب قلبه كاملًا لله تعالى مع كل نَفَس من أنفاسه حتى خروج نَفَسِه الأخير، وحاله هذه تبقى مخفيةً عن الناس».

يقول السيد أمير كلال رحمه الله تعالى:

«لن تبلغوا المقصود ما لم تكن اللقمة والخرقة حلالًا، ولو أحييتم الليالي بالعبادات ورقَّت خواصركم فصارت كالأوتار».



This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند رحمه الله تعالى:

«إن طريق أهل الباطن (أهل القلوب) إنما هي رؤية الأعمال الصالحة قليلة، وحياة هؤلاء تكون في إطار التواضع والعجز والمحوية، وإدراك أن أعمالهم قاصرة، وأحوالهم ناقصة، ولا شيء أنفع من رؤية النفس مخطئة قاصرة حين يريد العبد التخلص من أنانيتها، وهذه إحدى الحِكم من وراء زلّات الأنبياء».



«يا رب، إن الخلائق تخشاك وأنا أخشى نفسي، فإني ما رأيت منك إلا خيرًا، وما رأيت من نفسي إلا شرًّا».

يقول عبيد الله أحرار رحمه الله تعالى:

«إنني لم أتعلم هذا الطريق من كتب الصوفية، بل من خدمتي للناس كافة، إن الخدمة فضيلة من الفضائل الكبرى، فلقد حملوا كل فرد من طريق مختلف، وحملونا من طريق الخدمة، لهذا؛ الخدمة عندي أصل أرضى عنه، وخير الأصول وأحبها إليّ، وإني لأوصي بالخدمة مَنْ أراه أهلًا للروحانية والكمال».



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقول محمد زاهد رحمه الله تعالى:

«إن الآداب الصوفية مشاعل تنير درب السالكين في هذا الطريق، فمن يبتغي الترقي المعنوي فلا بد أن يراعي الآداب التي يعلِّمها أولياء الله ويطبقونها».

يقول الإمام الربَّاني رحمه الله تعالى:

«لا ترضوا بما لا يرضى عنه الله سبحانه، ولا ترغبوا فيه، ولندَع الرغبات النفسانية من الآن فهي منقضية لا محالة مع خروج نَفَسنا الأخير! وأولياء الله يتركونها بإرادتهم (بمجاهدتهم النفس)».

(وقد قيل: « موتوا قبل أن تموتوا»، أي اتركوا شهوات النفس قبل الموت).

يقول محمد معصوم السرهندي رحمه الله تعالى:

«كونوا في حال عبادة وطاعة، واستغفروا الله لما في عباداتكم من تقصير! وإياكم والنظرَ إلى أعمالكم على أنها أعمالٌ تليق بالله تعالى، وكان أحد كبار أهل العلم يقول: «اعمل واستغفر»، فهذا هو طريق العبودية عندنا».





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«لا يبلغ الوصالَ مع الحق تعالى مَنْ حُرِمَ الأدب».

يقول عبد الله الدهلوي رحمه الله تعالى:

«لقد أتينا إلى هذا العالم لنجمع الورود، ولكننا خرجنا منها لا نحمل سوى الأشواك».

«ما أشد البؤس في انجرار العبد وراء رغبات النفس الدنيئة مع أنه يستطيع أن ينال سعادة عظيمة بتقرُّبه من الله تعالى بالتقوى»



«من أهم الأسباب التي تجعلك مرضيًّا عند الله تعالى أن تتوجه إليه سبحانه، وتذكره، وتعبده بقلب واجفٍ».



«كيف يكون المرء عبدًا لله تعالى وهو يعبد شهوات نفسه وأهواءها».



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول مولانا خالد البغدادي رحمه الله تعالى:

«إن السير في طريق الأدب قبل أن تكون صوفيًّا أمر مُشكِل، فَللنفس الأمارة كثير من الحيل والخدع والبلايا التي تهلك الإنسان».



«لا يمكن للمرء أن ينجو من حيل النفس حتى لو حفظ العلوم [الدينية] كلها من الكتب، فتلكم الحيل لا يتخلص منها إلا بالخضوع لتربية مرشد كامل، وإلا، فإن العبد لن ترد عليه تجليات معنوية تعمر فؤاده، ولن يترقى بالصدق والإخلاص في هذا الدين المبين».



«كيف ينبغي لـمَنْ تشرَّف بالإسلام النومُ عن المحافظة على أمانة الحق تعالى وهو القيام؟ فأهم أمانة كلفنا بها الله تعالى قيام الليل والاستغفار في الأسحار».

يقول طه الحقَّاري رحمه الله تعالى:

«لا تدفنوا أعمالكم في التراب! فإعجاب المرء بنفسه كدفن أعماله في القبر».



This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول محمد أسعد أفندي رحمه الله تعالى:

«على كلٍّ متوجه إلى الحق تعالى أن يجعل دأبَ لطائفِه كلها الذكرَ لأنها في حاجة إلى تطهير، فكما أنه من الضروري على الإنسان أن يغسل كل جزء من بدنه وكل نقطة أثناء الغسل، فكذلك الحال مع مَنْ يريد تطهير عالمه المعنوي، إذ يجب عليه أن يذكُرَ الله تعالى بكل لطائفه وبكل ذرة من ذرات بدنه».



«فليُنرِ اللهُ عيون قلوبكم! فكما أن ماء الورد في كل ذرة من أوراق الوردة، أسأل الله أن يجمِّل كل ذرة في بدنكم برائحة المحبة والذكر الدائم!»



«لا تخشَ من الأشواك المنتشرة على الطريق الذي يأخذك إلى بستان العشق! فأنا قادر على جمع المئات من البراعم من كل شوكة».





This file was downloaded from QuranicThought.com

«إني أتلذذ بالاضطراب في بستان الدروشة، وأرى الوردة في رؤياي حتى لو نمتُ على وسادة من شوك».



«إن أحد الذنوب أو الذنب الأعظم الذي يكون سببًا في حرمان العبد عند الله تعالى إنما هو التكبر والأنانية».

يقول محمود سامي رمضان أوغلو رحمه الله تعالى:

«إنَّ الشرطَ الأول في قبول دعاء العبد إصلاحُ القلب باللقمة الحلال، والشرط الأخير إخلاصُ القلب وحضوره، أي التوجه إلى الله تعالى توجُّهًا تامًّا، فإذا لم تكن اللقمة في الفم حلالاً، فمن العسير أن يكون هذا العبد مخلصًا حاضرًا، ومتوجهًا إلى الله تعالى، وتاركًا لما سواه».



«يجب أن يكون صاحب الاستقامة مستقيمًا قائمً كالجبل، إذ للجبل أربع علامات هي أنه:

- لا يذوب بالحرارة.

- ولا يجمد بالبرودة.



This file was downloaded from QuranicThought.com

- ولا تحركه الرياح.

- ولا تجرفه السيول».

يقول الشيخ موسى طوبَّاش رحمه الله تعالى:

«تزكية النفس عندالشيوخ الكبار فرضُ عين».



«يظن كثير من الناس أن الترقي المعنوي يكون بالعبادات فحسب، إن الترقي الحقيقي إنما هو بمعرفة العبد أنه أمام نظر الله وسمعه، وتطبيق السنة المطهرة، وكثير من الناس يؤدون النوافل الكثيرة من العبادات غير أنهم لا يراعون الحلال والحرام، ولا يسعون للتخلق بأخلاق الإسلام، ويمضون أوقات فراغهم بالغيبة والنميمة، ويستعملون ما في أيديهم على أهوائهم النفسية، فيا ليت هؤلاء قلَّلوا من النوافل وسعوا إلى التخلق ومراعاة الحق والحقوق».





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«إن ما يوصل العبد إلى معرفة الله تعالى بذورٌ موجودة في تربة البدن، ولكي تنبت هذي البذور لا بد من دوام الحمد والشكر والذكر والتفكر... إن رأس المعرفة التفكر في أسرار الإبداع الإلهي».



«يصل الإنسان إلى معارف روحانية كثيرة لم يتعلمها من الكتب بالتفكر، والمراقبة بقلب سليم مطهَّر مما سواه تعالى».



«إن نجاتنا يوم الدين، وسعادتنا في عليين، إنما هي باقتدائنا في كل أمرنا بسنة النبي ﷺ خير المرسلين، قولًا وفعلًا وعملًا وحركةً وسكونًا، وبأن يحمل الدم الجاري في العروق سنَّتَه إلى كل خلايا الجسد، فتحيا بها، وتحيا لها، وتحيا عليها».





This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى:

«علَّمني شمس الدين قدس الله سره أدبًا عظيمًا حين قال لي:

(إذا كان في الدنيا مؤمن واحد يشعر بالبرد، فليس لك حق أن تتدفَّأ).

ولأنني أعلم أنه ثمة مؤمنون في الأرض يشعرون بالبرد، فلن أشعر بالدفء ما حييت».



«حين تحملت الوردةُ الأشواكَ، فاح عبيرها».



«مهما كنت غنيًا فستأكل بحجم معدتك، وحين تغرف من مياه البحر بإنائك فستأخذ ملء إنائك فحسب».



«أزرعت يومًا قمحًا، فحصدت شعيرًا؟»





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«انقطع الإلهام عني في هذا السَّحَر، فعلمتُ أن بعض اللقيمات المشبوهة قد دخلت بدني، إن اللقمة الحلال يصدر عنها العُلم والحكمة، ومحصولها العشق والرحمة، وإذا ما ظهرت الغفلة من إحدى اللقيمات، فاعلم أن تلك اللقمة إما لقمة مشبوهة أو حرام».



«الإنسان كالغابة، فكما أنك تجد في الغابة آلاف الخنازير والذئاب والحيوانات الأليفة والوحشية، كذلك تجد في الإنسان طباعًا حسنة وسيئة كثيرة».



«إن أردت أن تبعث النور كالنهار، فعليك إذًا أن تحرق رغباتك النفسانية التي تشبه الليل!»



«خير لك أن تكون عبدًا لولي الله تعالى من أن تكون تاجًا على رؤوس السلاطين».





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«للماء مئات الألطاف والمكرمات، وعلة ذلك أنه يقبل المتسخين ويطهرهم من أدرانهم.(فكن عزيزًا كالماء)».



«لا تتحرك ما لم يتحرك مرشدك، فمن يتحرك على هواه يغدو ذَنَبًا».



«من لم يكن ظاهره كباطنه فلا لسان له ولو كان نطق بمئة لسان».



«من كان له صديق حسن فلا حاجة له إلى مرآة».



«من قال أن الوردة في حماية الشوكة؟ لا قيمة للشوكة إلا بالوردة».





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«كما أن الحيوان يكون له شأن بمَلَكَاته وقدراته، فكذلك يكون للإنسان شأن باستعمال عقله وقلبه».



«يا من تلوث جوهر إيمانك من أجل قطعة خبز، يا أيها المسكين الذي تتخلى عن كنوزك من أجل حفنة من شعير، اِعلم أن نمرود ما آمنَ قلبُه بإبراهيم، ولكنه سلَّم روحه لبعوضة».



«لا بد من الحزن على هَمٍّ يصيب الإيمان، فلا علاج لذلك الهم».



«كم من سمكة تكون آمنة من كل شيء في الماء، فتُصاد لطمعها وجشعها».



«إن الأدران في الباطن لا يزيلها الماء بل الدموع».





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«لم ترجع مرآة إلى حالتها الأولى لتصبح حديدًا، ولم يصل خبز إلى البيدر فصار قمحًا، ولم يصبح أي عنب حِصرمًا، ولم ترجع أي فاكهة إلى حالتها الأولى، فانضج كي تنجو من الفساد [فلا تقع في مكائد النفس]».

يقول الشيخ سعدي الشيرازي رحمه الله تعالى:

«إن أتى بابَك غريبٌ فلا ترده خاوي اليدين، فقد تصبح يومًا غريبًا- لا قدَّر الله- وتأتي تطرق الأبواب».

«اسأل عن المنكسرة قلوبهم واجلس إليهم، فقد يغدو حالك كحالهم يومًا ما».

«إنك لا تأتي باب أحد طالبًا شيئًا، فاشكر الله تعالى بأن لا تطرد من يأتي بابك، ولا تعبس في وجهه، بل قابله بابتسامة».



«يشتري أولياء الله بضاعتهم من الدكاكين المهجورة التي لم يمر عليها أحد».





This file was downloaded from QuranicThought.com

يقول أهل الحكمة:

أسرار السعادة ثلاثة:

١. التواضع.

٢. الطمأنينة بالقناعة.

٣. التفكر في الموت كثيرًا، وإدراك أن الحياة الأساسية إنما هي حياة الآخرة.



الدنيا تغدو جنة بثلاث:

١. لسان لين يفتح القلوب.

٢. يد كريمة.

٣. قلب صار مكانًا تتنزل عليه الرحمات.



ثلاثةٌ في ظلام معنوي:

١. الغافل الذي لا يحيا ما يقوله.

٢. الأحمق الذي يدعي الفضيلة وهو أسير الكِبر.

٣. الجاهل المحروم من فيوضات القلب.





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المؤمن في خلوة مع الله في مواطن ثلاثة:

١. في الوحدة دون أن يتأثر بالكثرة.

٢. حين يبعث الأمل في نفس اليائس، ويرسم البسمة على وجه المحزون.

٣. حين يلقى المصائب بالحمد والصبر والشكر متفكرًا بأجرها.



ثلاثة يعلَمون أنفسَهم:

١. الراضي بالقدر.

٢. المستحي من أن يُذكَر اسمه.(أهل التواضع)

٣. الناظر إلى المخلوقات بنظر الخالق.



ثلاثة بعيدون عن الله تعالى:

١. الهارب من الخدمة بحثًا عن راحته.

٢. المدَّعي اهتمامه بالآخرين دون أن يقترب من البائسين المهمومين.

٣. المصاحب للغافلين.





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثلاثة بُشِّروا برؤية الله تعالى:

١ . أصحاب القلوب الطاهرة الصادقة المقرَّبَة من الله تعالى.(أصحاب القلب السليم).

٢ . الذين يجعلون ليلهم نهارا.(الذين يحيون الأسحار في طاعة الله تعالى).

٣. الذين يبذلون حياتهم في سبيل الله بقلب مشفق واجف.





This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهرس المراجع

- القرآن الكريم
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، مصنف بن أبي شيبة، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تلبيس إبليس، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت محمود أرناؤوط، ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، ت شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠٠١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله، تاريخ مدينة دمشق، ت عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، ت مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن بشير، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- الإمام الرباني، أحمد الفاروقي السرهندي، مكتوبات الإمام الرباني، مكتبة ياسين، اسطنبول، ٢٠١١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- البورصوي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، دار الفكر، بيروت.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، السنن الكبرى، ت محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، شُعَب الإيمان، ت عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.
- الجامي، عبد الرحمن، نفحات الأنس من حضرة القدس، طهران، ١٩٩٦.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
- الخرقاني، أبو الحسن علي بن أحمد البسطامي، نور العلوم.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الكفاية في علم الرواية، ت أبي عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة، المكتبة العلمية.
- الخلَّال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد، القراءة عند القبور، ت يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- الدارمي، عثمان بن سعيد السجستاني، سنن الدارمي، حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- دهلوي، عبد الله، المقامات المظهرية، مكتبة الحقيقة، إسطنبول.
- الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، الفردوس بمأثور الخطاب، ت السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، السيرة النبوية، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
- رمضان أوغلو، محمود سامي، المصاحبة، دار الأرقم للنشر، إسطنبول، ١٩٨٢.
- زرُّوق، أحمد، قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ت حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤.



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، ت عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، لبنان، ١٩٩٦.
- صاحب زاده، محمد أسعد، بغية الواجد مكتوبات حضرة مولانا خالد، ت محمد هادي الmardيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.
- صافي، علي بن حسين، رشحات عين الحياة، ت علي أصغر مُعينيان، طهران، ١٩٧٧.
- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، ت حبيب الرحمن الأعظمي، لمجلس العلمي، الهند، ١٤٠٣هـ.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر، المعجم الكبير، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الطبري، أبو العباس محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، تفسير الطبري، ت أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠٠٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر، المنبهات على الاستعداد ليوم المعاد، ت أديب الجادر، دار اقرأ، دمشق، ٢٠٠٣.
- عطار، فريد الدين، تذكرة الأولياء، بورصا، ١٩٨٤.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الملا الهروي، مرقاة المفاتيح، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، دار المعارف، القاهرة.
- الكشمي، محمد هاشم، بركات أحمدية، مكتبة الحقيقة، إسطنبول.
- مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، ت محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، ٢٠٠٤.
- المتقي الهندي، علاء الدين بن علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ت بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٨١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦ه.
- الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني، الإمام السرهندي، دار القلم، دمشق.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، رياض الصالحين، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان بن صالح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، ت عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، مغازي الواقدي، ت مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فهرس



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT



This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقفيّة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

دار الأرقم
للنشريات والمطبوعات

كتب إسلامية مجاناً



يمكنكم الآن تحميل حوالي ١١٨٠ من الكتب الإسلامية
بـ ٥١ لغة من الإنترنت مجاناً

كتب إسلامية بلغات مختلفة وبصيغة pdf جاهزة للتحميل من موقع www.islamicpublishing.net
تستطيع الآن طباعة النسخ بصيغة الـ pdf أو تحميلها على الحاسوب وإرسالها لأصدقائك عبر البريد الإلكتروني.

الإنكليزية - الفرنسية - الإسبانية - الروسية - الإيطالية - البرتغالية - الألمانية - الألبانية - العربية - الأذرية - الباشكيرية - البنغالية - البوسنية - البلغارية - الصينية التتارية القرم - الهولندية . الجورجية - الهندية - الألمانية الهوسا - المجرية - الإندونيسية - الكازاخستانية - التترية قازان - القرقيزية - اللتوانية - ليتوانيا - اللوغندية المسخيت التركية - الماليزية - الرومانية - المنغولية - المورية - التركمانية - التيغرينية - السواحلية - الطاجكية - الأمهارية - الصينية التقليدية - الكورية التوية الأوكرانية - الأغورية - لأوزبكية - الولوفية - الزرمية - الأورمية - الفارسية - الأردية - السلوفينية - الكردية

www.islamicpublishing.net

دار الأرقم

This file was downloaded from QuranicThought.com